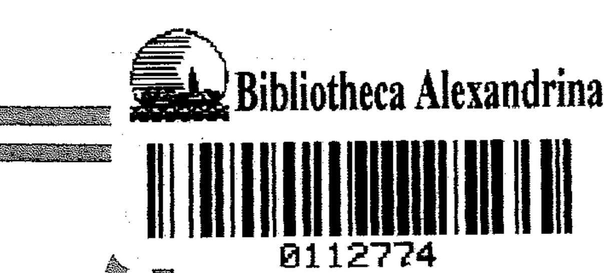
أدونيس

المطابقات والأوائل

صياغة نهائية

٢

دار الآداب



أدونيس

المطابقات والأوائل

(صياغة نهائية)

دار الآداب - بيروت

طبعة جديدة
١٩٨٨

قصيدة ثمود

I

... رجعَ القول إلى أحوال ثمودٍ/

II

خرجَتْ من أصداف الماء وجاءتْ

في ليلٍ

بردَى زوجٌ، والأشجارُ ثيابٌ/

لم أعرفْها.

ألوَردُ يدلّ عليها

والفجر الصّاعدُ في درجات الشمس يدلّ عليها

وشَفافية الحزْنِ المرسوم على قسمات الناس، تدلّ عليها/

لم أعرفها.

وأنا الطّالعُ من أغوارٍ لا أذكرها، أذكر: في خطواتي

كرَزٌ وحشيٌّ، في خُطواتي

كوكبُ جَمْرٍ/

والكرزُ الوحشيُّ يدلّ عليها
والجمرُ يدلّ عليها/
لم أعرفْها.

ما أعمقَ جهليَ ـ لم أعرفْ
كيف أعمِّر من أشلاء الآخر بيتاً
كيف أُجاهر أنّ الدمية حُبلى بالأطفالِ،
وأنّ الدِّفلى تمْرٌ
لم أعرفْ

كيف أعاشرُ أوراقاً تُسقى
لبناً تحتَ خيام قُريْشٍ
وتُوَزِّعُ بين قصور أميّةْ
عسَلاً،
وتقول: الصحراءُ الماءْ
بدءاً من هذي الصّحراءْ
والأشياء المرئيّة ليست مرئيهْ، ـ
لم أعرفْ

كيف أدافعُ، فيما كنتُ أموتُ/
استسلمتُ كأنيَ طِفلٌ.
هل يُسعفني هذا الجهل؟ ولكن

من أين أجيءُ، وكيف أجدّد للكلماتِ الجنسَ، ولِلّغة الأحشاءَ
لأقولَ الأشياءَ؟
. . . أحوال ثمودٍ/

تَعَبَ الماءِ،
القولَ التّائهَ مثلَ ضبابٍ
والعملَ التائه مثلَ ضبابٍ،
وأقولَ المقهورينَ - البؤسَ الرّابضَ في أعينهمْ،
والفرَحَ الجامِحَ فِي أيديهم.
وأقولَ الوَلَهَ الإعصارَ، الشرقَ
اللاّبسَ وجهَ البحرِ/
أقولَ تفجّر أيّامي -

جرحاً
يكبر بين العالم والكلماتِ، وأمحو
ما قرأته أحلامي،
وأقولَ تباريحي -
يأسَ العصفورِ،
ولكنْ،
من أين أجيءُ، وكيف أُجدّد للكلماتِ الجنسَ، وللّغة الأحشاءَ

لتقولَ الأشياءَ؟

III

مهيار يقولُ: «الذكرى لا تجدي».
ويقولُ: «الرّيح تؤاتي سُفُني،
حين يكون البحر بعيداً»/
أشهد أنّ الذكرى لا تجدي
لكن،
أشعلتُ مصابيحَ الذكرى
لتكونَ لَكَ الصّوتَ المرئيَّ،
وزهراً
أجنيه، باسمكَ، من بستان الجُرحِ، ونجْماً
يحنو كجبينِ امرأةٍ
تبكي في شُبّاكٍ/

ورأيتُكَ تنأى...
سمّيتَ الأفقَ، رسمتَ الدربَ، وسرتَ حنيناً نحو الأقصى،
أحبابُكَ، مثلكَ، ساروا
أعداؤكَ، مثلكَ، ساروا
يفتتحونَ سهوباً أخرى ببريقٍ آخَر، لكن

في الجهة الأكثر ظِلّاً من غاباتكَ ساروا،
لكن.
في ضوئِكِ ساروا/
سأقول لضوئِكَ أن يلقاني
في كلّ مدارِ
سأقولُ له: استظهِرْ حركاتي واستبْطنْ أغواري
. . . في أحوال ثمودٍ/

IV

. . . أحوال ثمودٍ/
١ ـ «هل هذا الكوكب أنثى، أم ذكرٌ؟
أم تلك قبائل ترشق في الصحراء سهاماً فتعود ذراعاً أو رأساً؟».

٢ ـ «إن كان صديقك يقرأ أفلاطون، تنبّهْ واحذرْ
قل: كلا: لا أعرفُه،
فغداً، أو بعد غدٍ،
سيُقاد إلى سيفٍ،
أو جبٍّ. . .»

٣ ـ «أعطوني.
ـ ماذا يفعل؟

ـ يقتل، كلَّ مساء، فَجْراً

٤ ـ «ما أطوع هذا الأفَّاكَ،
الطالع من تاريخ القتل،
الضارب في أحوال ثمودٍ».

٥ ـ «جاء الناقد يسأل: كيف يكون الوزن، وكيف يكون النثر؟ ويحيا
من بيع الألقاب إلى شعراءٍ،
يسأل كلٌّ منهم: كيف يكون الوزن، وكيف يكون النثر، ويحيا في تابوتٍ... ؟»

٦ ـ «أحوال ثمودٍ،
تتأسَّس في دكّانٍ:
«تاجرْ، واستعصمْ بالله، ولا تتسيَّسْ...».

٧

هوذا الدفتردارُ يجيءُ/حشودٌ
والأبواق ارتجلت لحناً/
... شهدوا أنّ التّاريخ امرأةٌ
صلعاءُ بعينٍ واحدةٍ
وبرأسٍ مفتوقٍ.

شهدوا أنّ التاريخَ تقمّص ضبّاً.
شهدوا أنّ القنَّبَ في الشرفات خيولٌ
والغيمَ وراء السدّة نخلٌ.

شهدوا أنّ الناس رفوفٌ من كتّانٍ
والرمّل سَحابٌ/

مَن يسأل: كيف؟ لماذا؟

يا هذي الجدران المنهارةُ من أسوارٍ تسْترشدها أسوارٌ،
كوني أكثرَ صمتاً
من أجلِ معاولَ أُخرى،
جَرّافاتٍ أُخرى.
يا هذي الحمم المقذوفة من أحشاءٍ تتقاسمُها أحشاءٌ،
كوني أكثر صمتاً،
يا هذا اللّجَبُ النازفُ من أصواتٍ تتخطّفها أصواتٌ،
كن أكثر صمتاً،

أكثر صمتاً ـ
من أجلِ لُغاتٍ أخرى
أزمنةٍ أُخرى. . .

هيَ ذي أيّامٌ قَصَبٌ والجَوفُ هواءٌ/
ماذا يفعلُ هذا الرّائي
لجموعٍ
سَوّاهم
مثلَ هباءٍ
ساواهم بالآلات وبالأدواتِ شِعارٌ
واستَتبعَهُمْ ظلٌّ؟
- من يتقدّمُ؟
- مُتّهمونَ، الصّمتُ لهم زهَرٌ ونوافِذُ
لكنّ الوقتَ كجمرٍ،
ويمرّ بطيئاً،
والألوانُ هي الألوانُ/
شقاءٌ

أن تتجدّد أو تتغيّر أو أن ترغبَ.../أعطيني زندكِ، يا هذي
الأرضُ المسبيّةُ، وارْميني في موج الأسرار، ولكن
دون حجاب،
كي يرْقُمَنا
ويصوّرَنا
ويُوشّينَا
ويَشي بمدانا

ويَشي بخُطانا
نسّاجٌ أو نمّامٌ
كي نَسْتوشيَ جرْيَ الريحِ/
استوْصيْنا
خيراً، بِنباتٍ يَنْمو/

ـ مَن هذا السائر، مطروداً
ويطاردُه شبَحٌ تنّينيٌّ، وتطارده تعويذاتٌ؟

ـ تلميذٌ
يجهلُ كيف تصير اللفظةُ تمثالاً
يجهل كيف يُربّي ألفاظاً
كأرانبَ أو كدجاجٍ . . ./
هَوْلٌ
أن تتجدّد أو تتغيّرَ أو أن ترغبَ/هذا
وجهيَ في لُجِّيٍّ
مثل عُقابٍ
يتطوّحُ
في
مَهْواةٍ . . ./لاقيني، وأعيديني

يا هذي الأرض. . . /
أغيّرُ هذا الزّرعَ، وأرقدُ هذي الليّلةَ
في أحضانٍ لا أعرفُها
وأسافر في مجهولٍ
يتكشّف عن جنسٍ سرّيٍّ
يتكشّفُ عن لغةٍ سرّيه
تعرف كيف تترجم هذي الضوضاء الكونيّهْ/
أحوالَ ثمودٍ.

VI

لكن،
هوذا الشاعر ـ كان ينامُ غريباً
والفجرُ غزالٌ
جسد الأرض يداعبهُ
والشّمس تخيط له
ثوباً قَمْحيّاً/

ـ ماذا يفعلُ؟
ـ يُلقي عن كتفيه النّومَ، ويمضي. . .
هوذا يمضي
ـ ماذا؟ خانت عينيه الأشياء؟ رأى

قدمَ النّورسِ ضِفدعةً؟
ورأى الزهرةَ وجهَ عجوزٍ؟

ـ ماذا يفعل؟
ـ يرجو
وجهَ غزالٍ آخرَ،
وجهُ الأرض يرافقهُ
والشمسُ تخيط له
ثوباً قمْحيّاً/

هوذا الآنَ يسافرُ في قنديلٍ مكسورٍ/يسمع همْساً:

«لا تأملْ
ليس النجم الطالع إلا رسماً
يتكرر، والألوان هي الألوانُ»

الآنَ يقارنُ بين الأشياءْ

ويقول: الأشياءُ هي الأشياءْ
بدءاً من هذي الصحراءْ.

ـ ماذا يفعل؟
ـ يرجو

وجه غزالٍ اخرَ،
وجهُ الأرض يرافقه
والشمسُ تخيطُ له
ثوباً قمْحيّاً. . . /

. . . والأرضُ تعيِّد عيد الرّمل، وماذا
يُجدي هذا الرأسُ النّافرُ من أنبوبٍ
في نَقّالة أفيونٍ،
في عُرُسٍ للآلاتِ؟ وماذا
يجدي هذا الطّوقُ، وهذا الجسرُ، وماذا
يعرف هذا السائرُ
من أبعاد المجهولِ؟/
سلاماً، يا أحزاني

ـ (أحزانيَ ليست أحزاني
هي جرحٌ ينزفُ من تاريخ الإنسانِ
هي أرضٌ تُرفع قُرْباناً
للظّلماتِ وللطّغيانِ)

والأرض تعيِّد عيد الرمل، وماذا
يجدي هذا الرأس السّاكن في أنبوبٍ؟

ألهذا، تسألني كلماتي:
ما هذا التاريخ، أجرحٌ أم سكّينٌ؟
وهل الكلماتُ سلاسلُ أم يقطينٌ؟
ألهذا، لا يتركني رفضي
ودمشق الأخرى لا تتركني. . . /
تسكنُ في أعضائيَ ـ نامي
لكِ مُلكي: هذا الدفترُ، هذا الحِبْر،
وهذا الثوبُ العُنّابيُّ،
ونامي

حتى يأذنَ وقتٌ
أعني
حتى يأتيَ فجرٌ آخرُ
أعني
ماتت ـ

ماتت أزمنة الكلمات/الوَحْيِ، وماتَتْ
نبرة هذا العصرِ، وماتت
أحلام الرّيفِ، وماتَت
شهواتُ المُدنِ

ولهذا، لا يتركني رفضي

ودمشق الأخرى لا تتركني،

ولهذا،
أحمل بين يديَّ، وبين خطايَ، بذوراً
والكلماتُ هي الكلماتُ: حمائمُ، حيناً
وصقورٌ، حيناً
وخمائرُ، حيناً

ولهذا،
يتغيّر شعريَ كالأشياءِ
ولهذا،
أسكن زوبعةَ الأشياءِ.

VII

يحدث أن أستسلم للطّرقاتِ
فأهبطَ في قيعانٍ
وأجاورَ أغصاناً، أو أتعبَ مثلَ رمادٍ
بحثاً عن أشباهي -

مصباحٍ
يتحدّث مثل فضاءٍ،

عصفورٍ
يمزج بين أنينِ السّهم وصمتِ القوسِ،
كتابٍ
يُعلن أنّ الحلمَ يقينٌ، والنّار سماءٌ ممطرةٌ،
رَعْدٍ
لا يقصف إلّا من أُفقٍ يتبجّسُ رفضاً،
تيّارٍ
يروي هذياني
للشطآن، للُجّ البحْرِ،
فضاءٍ

يخلط شمسَ الشعر بشمس الله،
طريقٍ

تبقى حلماً. . . /
أشبْاهي ـ
تصعد بين المعنى وحروف الظلّمة في ممحاةٍ
وتغنّي للممحاة وتمحو
تمحو/

أشباهي ـ

لا أعرف، إن كنت أحبّ دمشقَ، وأسأل: هل
أكرهُها، حقاً؟
شجرُ الصّفصاف كساني
ببياض الحزن، وسوّى
جسدي بجعاً/
ماذا يفعلُ هذا العُنُقُ الجامح، كيف يميلُ؟
وبحيرات الحبّ اضطربَتْ،
أو كادت تنضبُ، ماذا
يفعل هذا العُنقُ الذّابلُ، أين يميلُ
والماء شحيحٌ، والغيمُ قليلٌ؟

في قسماتِ شوارعَ ترقد تحت غبارِ السيّافِينَ، أسائل عن أشباهي
في رائحة الحزن الشّاردِ خلفَ زقاقٍ
في صمت عجوزٍ تومىء أنّ الموت قريبٌ
في جرحٍ/جسْرٍ بين سواعدَ، بين قلوبٍ
في رؤيا
تبقى نوراً وفريسةَ نورٍ،
أبحثُ
عن

أشباهي -

(فلماذا تسأل عني، يا هذا الباحثُ، بين حروفٍ
أو خلفَ شعارٍ؟)

أشباهي، -
لتكن كلمات الشّاعرِ ضوءاً،
ضوءَ الحاملِ عبء الأرضِ، ويبقى
في الجذْر الأعمق في أقصى موْجٍ
لتكن سفَرَاً
يترصّدُ كلّ مهبٍّ،
ويخالِط نبضَ الكونِ، ويبقى
في الجذر الأعمقِ، في أقصى موجٍ

لتكن جسَداً
لمحيطِ الهَجْسِ بوجهٍ آخرَ
للإنسان - بوجه آخرَ
للتكوينِ/

شقاءٌ
أن تتفتّح، أو أن تكبرَ، أو أن تهجم نحو الضوء، وموتٌ
أن تبدعَ أو أن تحيا

في أحوال ثمودٍ/

ولهذا،

أعذر وجه ثمودٍ

أعني المجذوبينَ إليهِ

الطّافينَ عليهِ،

وأقول لهم، باسم الملعونين الخلّاقينَ من الشعراءِ:

ما أقسى أن نعرف أو أن نفهمَ كلّ الأشياءِ.

ولهذا،

لا يتركني رفضي

ودمشق الأخرى، لا تتركني.

VIII

أشجارٌ ترسمها أقواسُ ربيعٍ يحلمُ،

واكبَنْاها

أَيْدٍ تمنحُ للعطشانِ الماءَ، وأخرى

تهدمُ،

واكبَنْاها

وكأنّ بيارقَ تخرج من أشلاءٍ،

واكبنْاها

وكأنّ غيوماً تتدلّى مثلَ ثمارٍ،
واكبناها/

هل يصدقُ هذا الرملُ؟ أيكفي
أن يأتيَ فجرٌ يسأل عنّا،
حتى نخرجَ من أسوار الظلماتِ، أيكفي
أن نزرعَ حتى نجني؟

ولهذا،
لا يتركني رفضي
ودمشق الأخرى لا تتركني
ولهذا،
يحدث أن أستسلم للطرقاتِ
فأهبطَ في قِيعانٍ
وأجاورَ أغصاناً
أو أتعبَ مثلَ رمادٍ،

يحدث أن أعطيَ أشكالي
لكتابٍ أو مفتاحٍ،
وأقول لبيتِ المجهولِ:

«سلاماً
سنُجاسدُ هذا الزمن الآتي،
ونخالط قلبَهْ
وسنكشف معدن كلّ شرارٍ
ونشقّ، غداً، والآن، طريق الرغبهْ».

يحدث أن ألقى في الشارع وجهاً
مملوءاً جثثاً
من أحلامٍ أو أعمالٍ أو كلماتٍ
يدنو
ويناديني
ويحرّضني:
«نحن التيارْ
إن كان مدانا من ورقٍ
فخطانا فاتحةٌ للنارْ».

يحدث أن أتقاطعَ مع ميدانٍ
كالعَرْشِ،
ومع خلفاءٍ
مع عمّالٍ للخلفاء وأنصارٍ،

وأرى كيف يكون التّاريخ جليداً
أو زرنيخاً،

يحدث أن أتحوّل/أحيا
نِسْغاً برّيّاً
أمشي في حَشْدٍ
يتحرّك، يقطع ما وصلته الرّيحُ، يغذّي دمَهُ
ودمَ التّاريخ الجنسيّ
ويعيد لحنجرة الأيّام الدّهشةَ، والصّوت الوحشيّ.

... ودمشق الأخرى لا تتركني
أخذتها الرغبةُ في شفتيّ، وفي فخذيَّ، وفي حنجرتي
أخذتها لغتي،

سيروا معها ـ
بِاسْمِ الأشلاءْ
لبست ورداً أحمرَ في ساحاتٍ مُهدت
في ساحاتٍ لم تمهَدْ/
أتحسّون بموجٍ يطغى؟
بدمٍ
يغزو يَبَس الأرضِ،

ويقرأ فاتحة الأنواء؟

سيروا معها ـ
ما أجملَ هذا الكونَ الناشىء في الخطواتِ:
الأرضُ سريرٌ
والأشياءُ نقيضُ الأشياء.

IX

أصْغوا
ها هي تقترب الخطواتُ، وأصغوا
لتويجاتِ جذوعٍ
سمّوها زهَرَ الآلام، وقولوا
هذا وعْد الأرض، وأصغوا ـ
هي ذي الأصواتُ تعانقُ صوتي:

«يا وجه الإنسان الطالع كالزلزال، سلاماً
ألهمْنا
وأبحْ للزّلزالِ مَدانا
خذنا
نحن الوجه الآخر من هذا الوقت المرفوض، وأَقْنِعْنا
أن جمال الأرض الإفراطُ

وأن الحكمة ربٌّ من ورقٍ
أقنعنا
أنَّ النجمة ماتت، والعالم يهذي
وتخطَّفْ
هذا الشاعر، واخلبْهُ
يا هذا الوعد المرسوم كجبهة طفل يولد باسم فضاءٍ
أبهى،
واصحبْهُ
في كشْفٍ
كشفٍ،
كشفٍ...».

X

إن كنتُ أَرجُّ التاريخ، وأخرجُ من ملكوت الآباءِ
فلأنّيَ طفلٌ أمّيٌّ
يمشي في قافلة الأشياءِ
يتعلّم سحرَ الأشياءِ

طفلٌ يتهجّى سيماءَ الأرض، ويصرخ: خذني
يا لُجَّ البَشرِ، الولَهِ، اغسُلْني

في برْق فضائك، وامنحني
أسماءً،
وامْحُ، وجدّدْ
أسمائي.

هوذا جسدي
مكسوّاً بالأنقاضِ وكلّ غريبٍ، يمضي
وتواكبهُ أسماكٌ
وبحيراتٌ
وتواكبهُ أنهارٌ، كالصّيف تهرول نحو خريفٍ / يمضي
وتواكبه
أعراسٌ،
ويواكبهُ

أحمدُ حنّا يوسف مريمُ ـ
قل للضّارب جذر العَوسج: أهلاً
قل للمأخوذ بقبضة هذا المعول: أهلاً
قل للفاتن والمفتون، وكل جمالٍ: أهلاً/

ويواكبهُ سحر الأشياءِ
ويقولُ للُجّ البشَر ـ الولَهِ، اغسُلْني

في بَرْق فضائِكَ، وامنحني
أسماءً،
وامْحُ،
وجدِّدْ
أسمائي .

(٢٥ تشرين الأول ١٩٧٦)

قصيدة البهلول

(موجز أخبار):

تدخل الشمس إلى بيتي فراشاتٍ وتمضي
كلماتٍ
ولأيّاميَ في مُفترق الماء حنينٌ:
كيف أُحيْي زَهَراً
يجتاحه الرملُ؟ وهذا

جسدي يختلج الآن كراعٍ بدويٍّ،
لابساً وجه الحقولْ
يكتب الشعر على العشب، ويلقي
يأسه الطيّبَ في ماء الفصولْ، -

لا يريدُ الشَّعَرَ السّاقطَ من رأس خريفٍ
أن تراه امرأةُ الصيّفِ، ويهْوى

قمراً يُولد من تلقائه
بين ساقينِ. . . ويهوى
أن يرى في عُنُق العصفورِ نَهْراً
ويرى العالم في وجه الحسينْ،
ويرى ناراً على النّهر، وملاّحاً، وتلويحَ ذراعْ
ما على البهلول لو سَمَّى يديه شاطئينْ
ما على البهلولِ، لو يَلبسهُ النّهرُ، ولو كان الشّراعْ؟

II

(تفاصيل):
خرج البهلول يسْتقرىءُ موت الظّلماتْ
هوذا يرجع والنشوة تمحو الخطواتْ
يُجلس الموتَ على شُرفتهِ
ويُريهِ
كيف يستعرضُ جيش الرّغباتْ، -

إنها أحلامه تكتبهُ:
أدخل الآن إلى السّوق خفيفاً
ورقاً تجرحه الرّيح، وأصغي

للخطى تَسْترق الشمسَ، لأصحابيَ: ماذا
تكشف النّحلةُ من أسرارها
حينما تدخل في الزّهر، وتلقي
رأسَها فوق تُويْجٍ؟
وهلِ الزّهرةُ ماءٌ أو شرارْ؟
ولماذا تلد الشمس الغبارْ؟

إنها أيّامهُ تقرؤهُ:
أخرج الآن إلى الشارع حلماً ـ
أن يكون الشعراء
هالةً حول جبين الفقراء.
أخرج الآنَ إلى الشارع جرحاً ـ
ألدَمُ الغامر تعويذٌ وتِيهٌ
وعلى الجدرانِ تاريخٌ ينامْ

الذي يقدر أن يفعله الشعر، ورجلاهُ قيودٌ
وعلى عينيه أسوار الظّلام؟

أتراهُ يهدم السّورَ بغصنٍ من أراكٍ؟
ما الذي يقدر أن يفعله الشعر لتاريخٍ ينامْ؟

إنها أشلاؤه تسأله:

ليس من ينطق إلاّ

شُرَطُ الحجّاجِ/هل أعطيكَ حلماً؟

. . . .

(بين أن يرتفع الحجّاج سيفاً

ليشيدَ الدوّلة العظمى، وتبني

لغة الحلاّج كوخاً،

أطرح السّيفَ وأختارُ. . .) لماذا

كلّما حاولَ أن ينبض صدقاً

كذّبْته الكلمات؟

ولماذا

يَحْرِفُ الينبوع مجراه لكي يبقى وفيّاً؟

إنها الأمّة ترتاحُ إلى أشلائِها

وعلى الجدران تاريخٌ ينامْ

ليس هذا وطناً/هذا رُكامْ.

ما على البهلول، لو يصرخ في هذا الظّلامْ:

أيّها العالم، كفّاي عصافيرُ وكفّاك مَصيدَهْ

إنني أخرج من وجهكَ، كي أدخلَ في وجه قصيدَهْ.

ما على البهلول، لو غنّى وحيداً:
هوذا وجهيَ بين السَّابلَهْ
يتوارى
حينما تنفتح الدّربُ وتمضي القافلهْ
لا لما قلتَ وقالوا
بل لشيءٍ آخرٍ أكتمهُ،

كلّ ما أعلن أنّي أتوارى
في زحام السّابلهْ
حينما تنفتح الدّرب وتمضي القافلهْ.

III

(استطرادات):

ها هنا يروي تواريخ مَحَتْها
جثثُ الأطفال، يسقي
شجراً مات. وهذا
نَهرُ الأردنّ يستسلم للطّمي. بماذا
يعِدُ الطّمْيُ؟ الينابيع جِراحٌ
والفصولُ انكسرتْ...

سكِرَ التّاريخ في حاناتنا
هوذا يخرج محمولاً. شيوخُ
وتماثيل نساءٍ.

إنها جائحةُ الرمل، اقتلاعٌ:
أتُرى نضحك أم نبكي، ولكن أيّ فَرْقْ؟
آهِ، ما أضيق بغداد وما أنأى دمشقْ!

ها هنا يرقدُ: تأتي جُثَثٌ
ترتمي قُدّامه عاريةً،
وإذا استيقظ جاءت جثثٌ
وارتمت قدّامه عاريةً/
زمَنٌ يكتبه القتلُ ـ اسألوهُ
اسألوا البهلولَ عن أيّامهِ
كيف تَستأصل جَذْر الذاكره
واسألوهُ:
قدَرٌ هذا المدى، أم رُقَعٌ
من ضبابٍ، أم غيومٌ عابرَهْ؟

يخرج الآن إلى السوق خفيفاً

ورقاً تجرحه الريحُ ويُصغي:
يجلس الهدهدُ في حضن سليمانَ/سليمان ابتهالٌ
يتقرّى جسدَ الغيبِ/وبلقيس عرارٌ
وقناديلُ، وسِحرٌ عربيٌّ
يتقرّى جسدَ الشهّوة، والهدهد عينٌ حائره
لا أرى غيرَ وجوهٍ من زجاجٍ
لا أرى إلّا الدّم ـ التّيهَ، وإلّا
قفصاً يملأ سطحَ الدائره،
آه لو يُقلب هذا السطّح، لو تُكسر هذي الدّائره.

ما على البهلول لو غنّى وحيداً:
لهبٌ يقسو على حزنيَ/حزني
حطبٌ رطْبٌ،
تقاطيعي تدلّتْ
صوراً مِلءَ الدّخانْ
لم يعد يشغلها وجه المكانْ
يغرق الآخر فيهِ، وأنا
عابرٌ يشغله وجه الزمانْ.

١٧

(مقدمات لأجوبة):

ما الذي يرتكب البهلولُ إن طالعَ تاريخاً ونادى:
أيّها الفتْكُ؟ وهل يأثم إن سمّى سماءً
باسمِ شخصٍ؟

ولماذا، حينما يرتحل البهلول في أوجاعهِ
ويقول: الخاصرةْ
شُرُفاتٌ. . .
ويرى أحزانه منشورةً
كالمناديل، ـ لماذا

حينما تتكىء الشمس على جبهتهِ
ويرى ما ظنّه التكوينَ مأوى عنكبوتٍ، ـ ولماذا
حينما ينقصف الماضي كغصنٍ في يديهِ،
يجفل النّاس ويجرون كريحٍ،
ويفيئونَ إلىِ سُلطانهم؟

ما الذي يرتكب البهلول إن شاهدَ جندياً ونادى
أيها القيدُ؟ وهل يأثم إن سمّى الكتابْ

باسمِ جلّادٍ؟ وماذا
لو سقى أحزانَه ماء عليٍّ
وروى للماء تاريخ الترابْ؟

ولماذا يخرج الناس إلى سلطانهم
ويغيبون، إذا ما
دخل البهلولُ في طقس أغانيه، وغابْ؟

٧

(الموت):

سقط البهلول في تُفّاحةٍ
جذبتها الكلماتْ
كان عشبٌ يرسم اللّون، وماءٌ
يقرأ الخطّ، وكانت
شفةُ الأرض التي تجذبهُ
تتهجّى الحركاتْ، ـ

ـ كيف هيّأتَ لأيامكَ بيتاً
ولففتَ الأعمدهْ
بالمصابيح؟ سلاماً
أيها البيت الذي يُرفع بين الأوردهْ

وسلاماً،
أيها البيت الذي يُهدَم بين الأورده.

VI

(شاهدة على قبر البهلول):

لغة البهلول في محرابها
وعلى سرّتها قفطانُ ليلٍ ـ
لجأت حيث تكون الأبجديّه
غابةً تسكنها ريحٌ خفيّه.

(شاهدة ثانية):

دخل البهلول في فصل النّباتاتِ، فأحيا
وَلَهَ الأرضِ،
وكان المهرجانْ:

ورَقُ الصفّصاف منديلٌ وللرّيح يدانْ ـ
إنه البهلولُ في أعراسهِ
ملِكٌ ـ
كرسيّهُ الأرضُ وتعطيه الرّياح الصولجانْ.

(٢١ كانون الأول، ١٩٧٧)

قصيدة بابل

I

في رأس امرأةٍ من قحطانَ يطير حصانٌ
في رأس حصانٍ طَرْواديٍّ، عربيٌّ يهذي:
«سترى أحشاءك فوق رغيفٍ
سترى زمناً يتقدّمُ قبراً قبراً. . .»

II

دار المجنونُ يُسائل: أين الشمس، وأين الأفقُ، وماذا يحملُ هذا الآتي:
عُنُقاً أو سِكّيناً؟
يسألُ: كيف أظلّ شرارةَ خَرْقٍ؟
من أينَ أتيتَ؟ وكيفَ؟ وماذا؟
أرضكَ مملكة التّدجينِ، وأنتَ عَصيٌّ
أتظلّ عصيّاً؟

يبدو أنّ الأشياءَ قطيعٌ
والأفكارَ ذئابٌ فِضّيهْ
قابيلُ هنا، هابيلُ هنالكَ لم يُدْفَنْ
والموتى شَرَكٌ
والأحياءُ سديمٌ...

هل تبقى تخبزُ هذا الرّملَ وتحيا
في طُحْلبِ هذا البُرْجِ؟
مَزيداً
من جَمْرٍ آخَرَ،
من شهَواتٍ أخرى...
صَدِّقْني - أقدر أن أتقدّمَ فِي منشارٍ
يا هذا الجذع اليابسُ، لكن
أعمل كي أتقدّمَ فِي طوفانٍ...

مَن يتقدّمُ؟ صاحَتْ
أجراسُ عُصورٍ
تتلاطمُ في حنجرةٍ بحريّهْ -

حسناً، يا هذا البحر، ورفْقاً

يا أدواتِ اللّغة القُرشيّهْ.

يبدو أنّ الأشياء قطيعٌ
والأفكارَ ذئابٌ فضِّيهْ،
من أين أتيتَ، وكيف، وماذا؟

مُتَّهَمٌ،
حتى حين تقول اللّيلُ فراشٌ
والشمس امرأةٌ

والحوض يحنّ لماءٍ لا يعرفهُ
والماءُ يحنّ لحوضٍ لا يعرفهُ

مُتهَمٌ
حين تقول الفاتح ليلٌ حيناً
والخاتمُ فجرٌ، حيناً،

حين تقول الحزنُ ربيعٌ
والصّفصاف دموعٌ،

متّهَمٌ

حين تجاهِرُ: بابلُ جرحٌ
يتدفّقُ من دمِهِ الفقراءُ
وبابل فَقْرٌ
يتناسلُ في دمهِ الشعَراءُ
وبابلُ سلطانٌ
والتّاجُ نبيٌّ أو تنّينٌ...

متّهمٌ

من أين أتيتَ، وكيف، وماذا؟
أتموت وأنتَ جَنينٌ؟

هوذا التّاريخُ - بقايا جُثَثٍ
والأيّام تهرولُ في كثبان الرّمل: «تفيّأْ
حلُماً،

وانسجْ
لِمداك، عباءةَ حبٍّ، واجْنَحْ...»
آفاقٌ جانحةٌ، وصحارى
تهذي
ونساءٌ في العَتَباتِ يَلدن الحسرة: «أهلاً،

لكن، ماذا نَفعلُ،
أيدينا
ليست
أيدينا
نحنُ المقتولاتِ، وكلّ جنوحٍ يحيينا».

III

قال عليٌّ: «هذي بابلُ...»
بابل قَفْزٌ
حيث الكون فراغٌ -
مجروراتٌ ومفاعيلُ
شحّاذون على الطّرُقاتِ وشحّاذونَ على الشّرُفاتِ
يفترشون الغَسَقَ الطّالعَ في الأهداب وفي اللّهواتِ
عَرْشاً يتأرجح في لَبْلابٍ
ونخيلَ دماءٍ،

أَلِفوا ريحَ الموت، وسالوا
في نَهر العالم جرحاً...

بابلُ أنتِ الشرُّ وأنتِ الخيرُ

وأنتِ مدارٌ
ودمي وهواؤكِ طفلانِ
يمحو الثاني دربَ الأوّلِ
يمحو الأوّلُ دربَ الثاني.

١٧

يبدو أن الأشياءَ قطيعٌ
والأفكارَ ذئابٌ فِضّيهْ
من أين أتيتَ، وكيف، وماذا؟

قُمْ يا قيسُ، ترصّد ليلى
قل للنّخلة أن تؤويكَ، وأسْلِمْ
عينيكَ لوَسْوَسَةِ الأحلامِ:
ليلى صورٌ تتفتّح في أشكالٍ مخروطيّهْ
ليلى أقواسٌ ودوائر جنسيّهْ
قصبٌ عالٍ للأحزانِ،
وبحرٌ أبيضُ للأوهامِ...

قُمْ يا قيس - التّاريخ رُكامُ
والحاضرُ وَحْشُ

تتلبّسه خِرَقٌ وعظامُ.

مُتَّهمٌ
حتى حين تقولُ الأرضُ امرأةٌ
وسواءٌ قلتَ العالمُ عرسٌ
أو قلتَ العالمُ قَشٌّ
مُتّهمٌ
وسواء جئتَ إلينا شرعاً أو جئتَ سِفاحاً
مُتّهمٌ -

(تُهَمي أنّيَ وجهٌ،
تُهَمي أنّيَ حُمّى،
تُهَمي أنّيَ أكشف عن جُرحي،

تُهَمي أنّي أرفض هَذا العصرَ، وأكتب
لَعْنَته الكبرى...)

متَّهَمُ
في أحلامكَ، في خلجاتك، حين تروحُ وحين تجيءُ -
قُمْ، يا قيس، ترصّدْ ليلى...

من أين أتيتَ، وكيف نسيتَ غزالَ الزّمنِ:
الجنسَ
الحبّ/
الموتَ/
الصوفيَّ/وحيدَ القَرْنِ،
اذكرْني

يا هذا النَّيزكُ، وامنْحنْي
ضوءاً
واسهرْ، وتألّق في أنحائي
هوذا: أغمضتُ جفوني باسمكَ واستسلمتُ إلى أعضائي
حيث نعانقُ ما لا نعرف كيف نراهُ
حيث المعنى زيتٌ والصّورةُ نارٌ
حيث التّاريخ كلامُ الهازم، صوت المهزومينَ،
وحيث مشينا
في أيلولَ
وفي كانونَ
وفي أيّارَ
مشينا
نتلمّسُ أقنعةَ التّكوينِ، ونحضنُ أزمنةً مكسورَهْ

تذكر؟ لم نسمعْ
لم نلمحْ
إلّا جسدَ اللّغةِ المجدورَهْ.

قم، يا قيس ترصّدْ ليلى
عيِّدْ عيدَ اللَّهب الوحشيِّ، اللّغة الوحشيّهْ
واقطعْ كلماتِكَ من خُيلاء الزّانِ وأُبّهة المرّانِ،

استنفرْ أضرحَةَ العُشّاقِ، وقدِّم
للموت حياتكَ، وابدأ ـ لا تنتظرِ العَنْقَاءَ،
تكون خُطاكَ لِقاحاً:

ستكون الماءَ مِراراً
ومراراً، سوف تكون الصّخرَ
مِراراً سوف تكون الرّيحَ،
وتغدو
مَلِكَ الآفاقِ، وتغدو
ملِكَ العرباتِ الضّوئيّهْ.
خُذني، يا هذا التيّار، امنحني
مدّاً أقصى

هوذا: تغدو فَلَكاً
وتدور كواكبُ في قَدَميْكا،
هوذا: أغمضتُ جفوني
واستسلمتُ إليكا.

٧

أعلو وأفكّر في التّشبيه وأنْأى
لا أحتاج إلى ذُرُواتٍ
شغَفَي أن أتواطأً مع أمواجٍ مع كلماتٍ
لا أملك إلّا أن أقتلَها
... في عادة وجهي،

عادةُ وجهي:
لا أعطي لغتي إلّا للجذر، وعادةُ صوتي
أن يتبَطَّنَ شمسَ الرّغبة - **بابلَ**، عادةُ صوتي
أن يخلقَ **بابلَ** كي يتغيّر هذا الزّمنُ
أن يخلقَ بابلَ كي يتبرّأ هذا الوثنُ/

أخلقُ **بابلَ** في الأجناس وفي الأنواع وأخلق **بابلَ** في
الصلواتِ وفي الشّهواتِ وأخلق **بابل** في الأرحام

وفي الأكفانِ وأخلق بابلَ بين الخالق والمخلوقِ
وأخلق بابل في الأصوات وفي الأسماء وفي الأشياء
وأظلّ اللّهبَ الضّاربَ في الأشياءِ
خارج هذا الورق الرّمليّ، أُدشِّن أنحائي
بالضوء، برغبةٍ أن أبقى
خارجَ هذا الملكِ، عَصيّاً
لا تعرفني غير النّار كأني جنسٌ شمسيٌّ آخرُ،
يمحو نَصّ الرّمْل، يفتّت كلّ مثالٍ
ويقيم الرّغبة نهجاً
وتكون الصّبوة عيداً
. . . في عادة وجهي.

عادةُ وجهي أن يتقصّى
سَفَرَ التكوين، طريقَ البدء، يُراهنُ:
أين يكون الملْءُ فراغاً، والآخر أوّلَ؟ أين يكونُ
الشعر طريقاً تتقمّص كلَّ طريقٍ؟

عادةُ وجهي أن يبقى
أُفقاً، ويُضلِّل حتى الرّيحَ. . .،
لهذا

أحياناً،

يطفو وجه الشمس ضباباً

ويكون الضّوء استسلمَ للكلماتِ

أحياناً،

تولد في الكلمات جراحُ

ويصير الجسر تراباً

ويكون الجسد استسلمَ للكلماتِ

أحياناً،

تهجم بابلُ في طاووس أو جلّادٍ

ويكون التاريخ هشيماً

والغيمُ قِياناً

وتكون الأشجار سبايا

أحياناً،

بابلُ قبلُ

وبابلُ بعدُ

وبابلُ وجهٌ للأحياءِ وللأمواتِ...

لهذا

يُولد في أسمائي
بَشَرُ
يزدحمونَ ويقتتلونَ/خُذيهم
دُلّيهم واحتضنيهم

كوني طرُقاً لهم وفتوحاتٍ، يا أسمائي
فأنا الأبدُ المتشرّد خارج أسمائي

أبديّاً
أعلن شرْعَ اللَّهَبِ، الولَهِ، الحلُمِ ، الأشياءِ.

VI

صارتْ كفّايَ زنابقَ، صارت عينايَ صلاةْ
أسّستُ خريفاً واستصْلحْتُ ربيعاً
وجلست مع الشّجراتِ القدّيساتْ
منتظراً بابلَ/
(بابل لا يعرفها أحدٌ/لا يجهلها أحدٌ)
خلع التاريخ قميص النّوم وسار وحيداً
في غابات الذكرى
(بابل لا يذكرها أحدٌ/لا ينساها أحدٌ)

بابلِ هذي أنتِ، وهذا خطوكِ، والطّرقاتُ هي الطرقاتُ
أَلرّقمُ يقول ونبْض المعدن قالَ
وقالت لغةٌ والشعر يقولُ:

أين يكونُ، الآن، الملكُ الضلّيلُ، الحسَنُ الضليل؟
أين يكون أبو تمّامٍ والمتنبي؟
ولأيّ طريقٍ قادهمُ المجهولُ؟

سأراهم يوماً
وَأُسَائِلُ رمْلاً مَرّ عليهم:
أَدِماءُ مسالخَ هذي الأنهارُ؟
أمشانقُ هذي الأشجارُ؟

وأقول لرملٍ مرّ عليهم:
أنتَ رسمتَ خُطاهم
واليومَ، أجيء لأرسمَ فيك خطايَ، ولستُ الأحسنَ حالاً،
لكنّي صرت الأعمقَ ضوءاً
مُذ صرتُ الأعمقَ يأساً.

بابل، هذي أنتِ وهذا عصركِ والكلماتُ هي الكلماتُ

«حَيٌّ، لكنّك ميْتٌ، يا أحمد» قال عليٌّ
«ستنالُ الخبزَ، ولكن
كيف ستحيا والرّملُ محيطٌ؟»

«سيقالُ: الثورة أنتِ، ولكن
أتظلّينَ وراء حجابٍ، يا مريمُ؟» قالَ عليٌّ -
بابل، هذي أنتِ، وهذا خطوكِ، والطرقات هي
الطرقاتُ.
بابلُ، هذي أنتِ، وهذا عصركِ، والكلماتُ هي
الكلماتُ

لن يدفقَ ماءٌ يغسلُ وحْلَ دروبكِ، حتّى...
لن يطلع فجرٌ يمحو ليلكِ، حتى...
حتى...
(مات الكوفيون، ومات البصريّونَ
وفي أنفسهم شيءٌ من حتّى...)
... وعليٌّ عاشقكِ المجنون يؤصِّل في ظلماتكِ دربَهْ
ولهذا، يرسمكِ امرأةً
ويحيطك جنساً
ويزاوج بين الحبّ، وهذا العصر، ويعلن: صار

الحبُّ فضاءً،
واجتاحته رياح الرّغبهْ.

قم، يا قيس ترصّد ليلى
قمْ، يا قيس، التاريخ ركامُ
والحاضر وحشٌ
تتلبّسه خِرَقٌ وعِظامُ.

VII

بابل جنسٌ
للموتِ، وبابل حبٌّ
تهبط نحوي

ضِقتُ عليها/ضاقت
عرفتْ أنّ حنيني تَعبٌ/تعبتْ
عرفتْ أني عَـرقٌ أتبخّر فوق سريري/تعبتْ
عرفت أنّ الليلَ فَرَاشَةُ جنسٍ/تعبتْ
بابل تصعد نحوي
قولوا: هذا زمن الرؤيا، زمن الأنقاضِ، وقولوا:
أهلاً بالأطرافِ، بكلّ عصيٍّ

أهلاً بالتّيه، بكلّ قصيٍّ

بابل تهبط نحوي
بابل تصعد نحوي...
بابل، أنتِ الطّفل وأنتِ الأمّ، وأشهدُ
كيف يصير ترابُكِ حلماً
ويصير أباً
ويصير جنيناً.

VIII

أليومَ، يحاول وجه الصخرة أن يتزيّا
أليومَ، سمعت الشّمسَ تخاطب طفلاً
أليومَ، رأيت طريقي في خطواتِ شريدٍ:
هل أدخل في؟
هل أخرج مِنْ؟
واليومَ، أهيّء ذاكرتي
للذّبْحِ،
أحسّ كأنّيَ طفلٌ...

بابل، يكفي

أن تجتاحي مُدُنَ الضوء بغير عيونٍ
يكفي زحفكِ نحو الرّغبة في جمجمةٍ أو في سَيْفٍ
يكفي أن يُقطعَ رأسٌ
كي يُلأمَ جرحٌ/

بابل تنهضُ ـ جئنا
نمنح فيك العاقلَ ذاكرة المجنونِ
ونقودُكِ، دون ملوكٍ أو حرّاسٍ
لغةً للبدءِ، هباءً للتكوينِ.

بابلُ جئنا
نبني ملكاً آخرَ، جئنا
نُعلن أنّ الشّعر يقينٌ
والخَرْقَ نظامٌ.

هوذا نجْمٌ
يتوهّج بين كواحلِنا
ثِقةً بجحيم خُطانا
ثقةً بفضاءٍ
يتناسلَ ملْء حناجرِنا ـ

غنّيتُ/أغنّي
جسَد التاريخِ، طيورَ الأزمنة المكنونَهْ
وأبحْتُ لكلّ صعودٍ لغتي
وأبحْتُ لكلّ صباحٍ
أن يتقمّص وجهيَ، أن يُنكرَني -

هل للتاريخ طريقٌ
خارجَ نَزْفِ الرّئة الملعونَهْ؟
هل للأرض كتابٌ
لا تكتبهُ اللّغة المجنونَهْ؟

(بيروت، أوائل آب، ١٩٧٧)

قداس بلا قصد،
خليط احتمالات...

- «هل ترين حرجاً إذا أهديتك
قصيدةً»؟
- «على العكس، هذا مجد لي».

ا

. . . إذن، كانت قُدّاساً بلا قصْدٍ، خليطَ احتمالات
وكان يتبدّد في ما يشبه الدّروبَ
في زقاقٍ
في حارة النقّاشات
أو في القصّاع
يقرأ جذوعَ التاريخ في اتجاه امرأةٍ تقرأ الغصون.
- «هذه لها»/
وبدا صاحب البيت كأنّه قوس قُزَحٍ رآه في غابةٍ ما.
- «غداً تأتي»/
سلامٌ لذلك البيت، جرساً صامتاً، يتغلغل في أحضان

الليل. أهلاً بهذا الشاعر يتلألأ ضِلّيلاً، كمثل كوكبٍ يكاد أن يسقط.

مِن زَمنٍ،
يقول الغبطةَ ويقوله اليأس.
حَظٌّ آخر أن يتعلّمها،
تحفّزٌ آخر أن تحاصره، ـ
يتموّج فيها ويستشْرف:
ـ «هل أنتِ من هاويتي وفوضاي؟»
ـ «إليّ، إلى مسرحي، أيها المبعثَر
أنا من تفاجئك
أنتَ من يغلب أحشائي
وكلانا حربٌ غير هذه الحرب.».

لكن، لماذا لا يملؤه إلّا حبٌّ ينتظره؟
لكن، لماذا لم يجىء هذا الحبّ؟

... في حبّ لم يجىء بعد، يرسم وجهه على الغيم
ويمنح جسده لأفياء الذاكرة/
الحياة نايٌ من الغبار

وصفصاف الحزن وارفٌ حتى الأفق.

وها هي النّجومُ فوق الحميديّة تهتدي بشرفات
المهاجرين. تمدّ أيديها إلى قاسيون، وتترك أفخاذها
في أسرّة غامضة.

إنها المدينة ـ جنديٌّ من الثّلج
في خاصرته اليسرى ثقبٌ، والبقيةُ لنا.
إنه التاريخ ـ حصانٌ عليلٌ يقطر من قوائمه
ماءٌ آسن.
أُنبتْ في الجراح، أيها الملحُ، كقرون الأيائل/
الجوعُ ميلادٌ،
والأرض ضيّقة على الأرض، ـ

كيف يقرؤكِ، أيّتها المرأة/كيف يقرؤكِ،
أيتها المدينة؟
ـ ما نواياه، ما هدفه؟
ـ هدفه الرّعد، نواياه الطوفان.

كان الهواء يضبط على الشاعر كلاماً لم يفهمه
كان الشاعر يتَمَنْدلُ ويصير للمدينةِ عوداً رطْباً

كان الأفق يتنسّمُهُ ويسْتَرْوِح إليه، ـ
شمسكَ جديدةٌ، أيها النّهار
الظلّ ينبسط ويتذلّل
الأعشاب تزيّن وتُخْصِب، ـ
شيخ الربيع، زهرة الحواشي،
السماء تتحدّب والهواءُ ممشوقٌ/
صمتٌ، ـ
لا نسمع إلّا صوت الرّئة:

ـ «ممتزجاً بكِ،
أتنهّدكِ
أكتبكِ في كلّ خليّةٍ من خلاياىَ
أتكلّمكِ،
وأستسلم، يا لغتي، إليكِ».

ـ «قصبَةٌ تنحني إليكَ، عشبةٌ تسكر بكَ
انثرْني في تقاطيعك،
أَنغرس فيك وأقول لجسدي محروثٌ أنتَ بجسده
نتحوّل إلى حقل واحد وأقول
انتظرني في الطّرفِ الأقصى من الحصاد

كن خريفي ـ
الرّبيع تمهيد،
الصّيف عطشٌ،
الشتّاء انتظار، ـ

وأنضجنْي، أيها الخريف الشاعر،
حيث أجرف الزّمن كنهرٍ وحشيّ، وأصرخ
أنا الحياة،

تطوّحْ فيَّ،
اشْتَعلْ،
أيها الطّالع بين عينيّ
ندشّن مملكة جسدينا ـ وأعلن/

أحبّك وأزحزح تخوم الجسد،
أحبّك وأطلع فيك نبتةً مسحورة،
أحبّك وأقول حبك يتجاوزني،
أحبّك وأقول: «حبّي النّهرُ
ولن تعبر النّهرَ مرّتين. . . »

II

. . . إذن،

كان برجاً من الضّوء وله قامة الأفق، يملأ المكانَ

بالمكانِ، يربط

الوقت بالوقت.

هكذا سمّته الحبيبَ الذي نفاها إليه. هكذا

وشْوشَت نفسها:

«تزيّني به/إنه البرق

تعرّضي له

زاحميه

وأثبتي وتنوّعي . . .

بعضنا ذبيحة بعضنا، وكِلانا قُدّاس الآخر. . .»

ـ أهّلْني للاتّصال بكَ،

أعضائي طافحةٌ سُكْراً

وظنّي أنك آخر أُفق يحوشني.

ـ ظنّي أنّكِ آخر جسدٍ أحوشه،

لذلك يحضرني خوفٌ منكِ ـ

لكن،

خُذيني إليكِ
يا بيتَ الفتنة، وبيت الرّغبة، وبيت النّشوة.
ناغيني بغيبك،
ادمجيني فيكِ، أُدرجيني معكِ،
خَوِّضيني في القلَق،
وموِّجي عليَّ الخوف.

III

أَصْغى إلى جسدها (جسدها لغته وبه يتكلم)
يتكلّم على السّفر بين الحبر والورق،
بين العضو والعضو،
يتكلّم ضِدَّ. . . /
يتكلّم على انقلاب الجسد وينشىء سلطته
يتكلّم ليقيم نظامَ الدّم بين جسديهما
يتكلّم لينشىء كتابة سواءً كجسدها
لِيظلّ عالياً في سويّة الموت
يظنّ أنَّ. . . /

ألهذا يقول الشاعر:

أخلق/لا أخلق إلّا شقوقاً وانصداعات؟
ألهذا يقول للمرأة/المدينة:
أكتب لأكون لكِ، وجهي نَيْزَكٌ وأنتِ الفضاء؟

. . . وتساءل جسدها: هل أنا تَوْريةٌ لمعرفته؟ هل هو معناه يتكَوْكَب حولي، أم هي صورته؟
وكتب جسدها:
قل تحوّل وجهه إلى ندىً يقطر على الشّرفات
قل خرج وجهه يرافق الزّمنَ
وها هي قبائل العشب
ترتحل معه غزو المسافات.

. . . هكذا أعْلنَا:
نحن الجسمان الأولان، والموت جسمنا الثالث.
هكذا كانت تكتب:
«الزمن اثنان ـ صامتٌ وناطق
الناطق الجسَد، الصّامت الموت»،
هكذا كان يقرأ:
« ـ أيها الخياط، عندي حبٌّ مَفْتُوقٌ هل تخيطه؟»
« ـ إن كان عندكَ خيوطٌ من ريح».

... إذن،

يبقى أن نعشقَ ولا نعرف لماذا

يبقى ما لا يقدر نظامٌ أن يمنحه

يبقى ما لا تقدر سلطةٌ أن تمنعه

تبقى حريّة أن أقبلكِ وحريّة أن تستسلمي

أتقمّص قميصكِ وألهج بكِ

تتقمّصين قميصي وتلهجين بي -

نُجمّل قِشرةَ الأرض

ونُجَنْسِنُ الكون.

١٧

... استرسل الشاعر يقرأ طالع المدينة، حيث يهبط نجمها على أوراقه/

يكتب إليك، أيها النّجم، يقول إنه من مُشاتِكَ في معسكر الرغبة ويستنفر العناصر/

لكن، كيف يقرؤكِ، أيتها المدينة، كيف يخرج

من حوضكِ الأخضر

الطافح بأوبئةٍ لها طعم الترياق وبراءة الياسمين؟

حقاً، أنتِ

السُّرَّةُ وفيكِ مهبل الأرض.
كيف أقرؤكِ، أيّتها المدينة/المرأة؟

بعذوبةٍ، تقطعين جسدي عِرْقاً عِرْقاً،
وليسَ لي أن أقدّم
غير القليل من الفرح
غير الكثير من الحزن.
لكنني أمنح أطفالك غضبي كلّه وقوتي كلّها ـ
حيث أعلّم حياتي أن تكون طريقاً واحداً: الجسد،
وأقول للغتي أن تكون كلمةً واحدة: الجرية.

٧

. . . في اللغة التي تتعلّم لتكون الحريّة،
سأل الشاعر بردى:
ـ «بَرَدى،
هل بقي وجهٌ، وجه واحدٌ
يعبس حقاً حين يعبس
يبتسم حقاً حين يبتسم،
وجهٌ واحدٌ
نتبادل معه فِطرة الحجر وصدق الرّيح؟»

... بفطرة الحجر وصِدق الرِّيح،
صنَـع اللّيل، وهو ينظر إلى الشاعر،
نجمةً من سلالةٍ أخرى، كان فيها ما يشبه البنفسج،
وما يشبه امرأةً عاشقة/
التصـقَ بها ـ
نفسهُ تكره الحرب،
لكنّ جسده يعشق الخراب،
وكان يتمتم لنفسه:
السّماء للنجوم،
الأرض للحَجر،
أين مكانُكَ، يا شبيهي
يا من سمّوه الإنسان؟
... ذلك أن التارِيخ يفكّر بقدميهِ،
وها هو يجاهد عائماً بين الحجر والحجر،
وها هو يتطوّح، طيوراً مصعوقـةً
تصفر حول نوافذ لا تنفتح،
وتهذي وتتلاشى.

... ذلك أن المدينة تُثلج ألفاظاً، وكل بيتٍ يرحل
في اتّجاه

ولكل لفظة شاهدةٌ

تعلو في انصداع جليدٍ يحرسه الطّحلب، والزمن

بين الأرجل

يَـ - تـ - شـ - قّ - ق.

أنذرَ الشاعرَ ورقٌ يتساقط. توعّدَ أنْسامَه

ريفٌ أجرد.

... ذلك أن للحقول أردافاً تتزخرفُ بحجر الدمّ،

... ذلك أنّ التّرْبة الزكيةَ تضنى،

وأعضاؤها حديدٌ هالك.

وسأل الشاعر:

- أيتها الريح التي تغْتاب العِطر،

ما الذي يَلتبس عليك في شهقة الورد؟

VI

... في مثل شَهْقة الورد، خرجَتْ من حوض الوَله

إلى مصيرها. تنسحق

مسكاً بين شَفَتين، وتُقتّر في بقايا أعضائها.

ما أغرب هذه العاشقة: جذع شجرة ينقصف أمامها،

تُويْج زهرةٍ يستحوذ عليها/

ها هو يشتعل ثانيةً، ويُضرمُ أحشاءه.

وها هي أعضاؤه
تَتَفرّع أدغالاً أدغالاً.

ما أغرب هذا العاشق: جذع شجرة ينقصف أمامه،
تُوَيْج زَهرةٍ يستحوذ عليه/
... يجازف بطقوسه،
وبين ما بقيَ منه امرؤ القيس، وصاحبٌ يأخذ دربَه
إلى النِّفَّري، ويقدّم له طاسةَ السُّكْرِ، ـ
يمكن أن تكون للهذيانِ هالَةٌ،
وللدّمعِ دَارَةُ موجٍ ـ سريرٌ يحملنا،
أو سفينةٌ تقطر جسدينا.
يمكن أن تنقلب نكهة الجسدين إلى أسراب طيور تصرّف
أمور الهواء
يمكن أن نتفارقَ ولا يكون بيننا وبين جسدينا غير
جسدينا.

... ذلكَ أنّ هذا دَأبُ جوارحه،
يا مَن سمّاها حبيبته،
وأنكِ عادة أهدابهِ، ـ
وبعد ذلك، وإلاّ، ومهما يكنْ...

VII

... بعد ذلك، وإلّا، ومهما يكنْ...

شهوة البَشَرَةِ، مباهج

العَضَل/

وأخذ نجمنها يهبط على أوراقه:

هل الشّمس، هذه السّنة، خيرٌ منها في السنة

الماضية، أيها النّجم؟

وهل الغيم أكثر تناسلاً؟

لكنّ الغموضَ يصاهر الرّمادَ، والمصادفةَ عصيةٌ

حتّى على النّرْد.

... كان جسده فوق ما يقدر أن يتكلّم،

كان عمله فوق ما يقدر أن يتخيّل،

يطارده زهاءُ لاهوتٍ أو أكثر

يحضنه زهاءُ هَرْطقةٍ أو أكثر، ـ

شَعْبِذْ أدلّتك، يا هذا الوقت، أيها الصنّبور المُقفّى

بماء الضّراعة،

أنتَ حزمة الحطَب، وأنت شرعة الحرْق،

أنتَ العاهة، وأنتَ البريء،

ولستَ الركيكَ، ولست الخافت.
يهبطُ فيكَ، يا هذا الوقت، تقوده الشرفات، -
حدثَ، مرةً، أن تناولَ الشّوارع كما يتناول الجرائد
رأى إليها ترتسم كالحروف
ورأى إلى الحروف تسمن وتمتلىء دسَماً ودهناً،
ثم تتحوّل إلى شِباكٍ ولافتات... /

ويكون لأشعّة الشّمس أنْ
تلتقطَ جسدَ امرأةٍ وتسأل:
كم جيلاً عمق جرحكَ أيها الجسد؟
ويكون للأرصفة أن تحتضنَ النّساءَ
غاباتٍ غاباتٍ، وتتركَ للطريد أن يكمن لرحيل الأثداء.

... وأخذَ الشّاعر يصرخ كأنه يتمَضْمض بأحشائه:
انكسرَ صلبْكِ، يا هذه المدينة المُشَطْرجَة، وتلطّختُ
برشاشك. تشظّي وبَعْثريني في اتجاهاتِك
صَحْوٌ أن أغّيم فيكِ. سطوعٌ أن تُعَتّمي دروبي، -
أهلاً، أيها الجسد القربانُ، أيها
الهامشُ الطيّب في متنٍ رصَدٍ يتَسَلَّط ويوسوس، -
سلاماً، أيها التّاريخ الجنسيّ.

. . . وكان اللّيل ينسحب كخَشْخاشٍ صوفّيٍ،
ويدخل غابة الجوارح.

VIII

. . . لحظة شهوةٍ، لحظة انخطافٍ،
والزمنُ الشّروبُ يسكر باسمكِ، أيتها المرأة/المدينة.
لكنّ عَطَشي فرنٌ شمسيٌّ، وليس لعينيكِ أختانِ،
أيتها الهاوية التي تخالطُني، ـ
يعطيها تولّهي لعينيّ،
وتَنْهبها منهما أعضائي ـ
وأنا الأفق الذي يتزيّن بشهواتِك.

. . . وفي اللّيل الذي ينسحب كخَشْخاشٍ صوفّيٍ
ويدخل غابةَ
الجوارح، كنّا ـ أنتِ وأنا، نسمعُ وشْوَشَة
أشجارٍ، زفيرَ
أقْبية:
/ الأزقّة خلايا من الجمر النّيْء، ـ
ثمة زمنٌ يتخنّث في رقصٍ تنكّري،
ثمّة استرجالٌ يرشح من الزَّهْر.

/ لكَ هذه الآفة الشّافية الملقّحة بليْلَكٍ ولُقّاح.
/ لكِ هذه العضلة المَنْمَنَمةُ بتخاريم الوقْت
/ وأنتِ مَسبَكُ المحرّم.
/ وأنتَ خابيةُ الملذّات.

/ . . . تسَلْسَلْ، أيها الترنيمُ الباهيُّ في توحش أملس كشمّامٍ أخضر، وأنتَ أيها الخَطّ الثّلُثُ، تغلغلْ بين الكوفيّ والدّيواني، في واجهاتٍ تؤرخ لأخاديدِ الرّغبة. .

. . . وكنّا، أنتِ وأنا، نتمتم:
البهارُ يحَمْحِمُ
الشّوك يتورّد
يلزمنا أن نقيم في جسدٍ آخر، ونلملمَ حصادنا،
يلزمنا أن ننْتهكَ مدنيّةَ اللّغة، ونصرخ:
نحن الوحشان الأخضران،
ونهدر كلُطْفٍ من البحر. . .

. . . كمِثل أعصابٍ ناقلةٍ، كانت كلماتُنا تنتَشر
بين **قاسيون وجرَمانا**. الوقت في جسدينا
أرضٌ شاسعة تلتهبُ، وللكآبة في تقاطيعنا جبالٌ وبحيرات.
لكن، كانت الأرض تتنوّع، وكان الحَرْثُ يتعمّق، ـ

هكذا، تحت سُلطة الشجر تقدّمنا.
وكان وسيطٌ لوحيْ وجهينا يستطلع لنا ويلبس أشكالَ
اللّيل. ورأيتُ إلى مزاجكِ الهادىء يدخل في خرابِهِ
الجميل/أكرّر:
في الكآبة أعطيك اسْمي
في المنفى أنبتُ فيكِ،
تهدّبْ فوقَنا، أيها الشّجر،
املأنا، لا تخَفْ، أيها الغيب.

IX

. . . وأضنيناكَ، أيها اللّيل الآخر الذي يتدلّى كالجلجل
في أعناق الشّوارع.
وأنعشْناكَ، أيها السّهرُ الآخر الذي يعرّش على أنحائنا.
وأخذَ
بَوْحُنا ينبسط ويتشعّب، كأنّه يعادينا ويصادق الفضاء
وكنت أرى كيف تخدشكِ في غاباتي المتنقّلة، نبتةٌ
ما، وكيف
ينتسب شيخُ الربيع إلى فصيلة زهرك المركّب. . . /

مَسٌّ شَبَقيٌّ

وانجرافُ خلايا ـ
أستثنيكِ من
كيفَ ولِمَ وأين،
وأمارس إعجازي.

زَغَبٌ نبيذيٌّ
وأضيف كحولي إلى خمرك،
وأتجهُ معك نحو لجّةٍ تتشرّبُ أنحائي.

/ املأهما، لا تخفْ، أيها الغيب.
من جديد، تغطّيك، أيها الشاعر،
غيومٌ عرّافاتٌ ينْقَطعْن للمطر
ويتنبأنَ:
سيتزوّج سَحابةً
لكي لا يعرف بمن يلوذ، ـ
وقلْ بيتهُ بيتُكَ، أيها الرّعد.

X

... قل بيتُه بيتُك، أيها الرّعد، واخْتر اسمكَ:
دمشق/لا تزال تنتقش في ذاكرة أيّامه رحى فَتْككِ

لا تزال ترتسم أصــواتٌ تحمل سطوة الجنائز.
لكن، ها هو اسمكِ يزدوج الآن،
لكن، بمجد اسمكِ الآخر، هو الآن
الشعر الذي يعيدُ سبكَكِ
حرفاً حَرْفاً،
لتكوني على مَرْمَى الخَلْق،
لتكوني قريبة على مدى الشعر.

بالغضب، غَطّى جرحه إليها مرّاتٍ ولم يلتئِمْ،
في جَزْرِها، انحسَرَ مرّاتٍ ولم ينكسر،
في شِحّها وفتورِها، حفر، نقر كثيراً كثيراً،
ولم يتقَهْقَر.
/ مِن أينَ لكِ أن تَمْتَنَعي عليَّ؟
يقول الشاعر
أنتِ الشّعاعُ وهو انعكاسُكِ، أنتِ الجهاتُ والسّفرُ
كلّه إليكِ.
جسدكِ بستانٌ أميريٌّ مثقلٌ بالضرائب،
ولقلبه نعمة الجباية.
وأنتِ خميرة الطّرق إلى الولَهِ وأطرافِ الأبّهة،
وأنتِ الفتنة.

من أينَ للكِ أن تمتنعي عليَّ، يقول الشاعر
من أين لنا أن نتنافرَ؟

هيهاتَ، هيهات...
مَسكونٌ إليكِ،
تائهٌ إليكِ،
وإليكِ فوّضتنيَ الريح.

(دمشق، كانون الثاني، ١٩٧٦/
بيروت، آب، ١٩٧٨).

مراكش - فاس
والفضاء ينسج التآويل

قلِ الوقتُ يَشْطح
في ضبابٍ يتهدّل ويشفّ
لا مِنَ البخار لا من الغبار
بل من أنفاس البشر؛

قُلِ التّاريخُ قروحٌ وأنقاض
وللحاضر نكهة القَشّ؛

قُلِ المْلكُ للمماليك
وقل ها هيَ الأيام تتوشّى بالقتل.

بلى! حضارةٌ ما، تُحتضر في هذا الإصطبل المتمدّن، -
وبين «**الصيّاغين**» و«**طريق المسيحيين**»
أقاليم تسوّلٍ

تتجمهر فيها أمجادُ عمائمَ وقناديل
وتتطوّح في سراويل الأفق.

بلى! شيءٌ ما يقذفه «باب العصا»، يتوتّر على
«باب البحر»، ويكاد أن يتفجّر في «باب البارود» ـ
هواجس تلتهم المسافات/
كيف نفتح الثقوب ليهبَّ الهواء؟
لو تفيضُ هذه السّدود، لو تجنح هذه الشواطىء! ـ
إنها طَنْجَةُ، المدى الذي يحارب القلب
ولا يسالم العين.

إذن، سَلْسِل أحلامكَ في أصيلة،
واســتشرفْ مراكش وفاس.
إذن، إليَّ، أيّتها التباريحُ
أجنحةً كأطراف الكونِ،
وتَوهَّجي نبوءةً ورمزاً.

II

طفلاً،
تدخل إلى مراكش، في حاشية من توابع الشّجر والعشب

تحيّيك طلائع النّخيل، وكلّ غصن تاجُ من النّار/
لا تُنكرْ

الخريف جمركَ أيها الرّبيع
الرّبيع ماؤكَ أيها الخريف،ـ

فجأةً،
تهيْدَبَ المطر أمامَ نَخلةٍ تتوجّع
وأخذ يتجرّع أوائلَ العطش، ـ
قلَقٌ في التُّوِيْجِ
طمأنينةٌ في الجَذْر،
وأسمع ما يشبه الكلام: اليوم، ينزل القمر إلى المدينة،
ويزور أصدقاءه الفقراء.

III

يأخذكَ نحاسُ الوجوه
تأخذك فاقةٌ تعرّش على الخواصر
تأخذك أصواتٌ تملأ الشوارعَ بُسُطاً تثقّبها أظافر الهجير، ـ
وماذا يقـول
ماسحُ الأحذية لهذا القفطان المذهب؟ وماذا يوَسْوِس

بائع اللّبن لتلك النّاطحة من الإسمنت؟ وما لهذه
الأرصفة كأنها خيولٌ أُرْهِقت، تنكّس البيارق؟
وحين ترى إلى الشمس تغربُ، يتجاذبها **الأطلس**
والمتوسط، يُخيّل إليك، في الحقّ، أنها جسد امرأةٍ
يتخطّفها سريران عاشقان.

IV

«جامع الفنا»/ فجرٌ في أوَّل اللّيل،
أم هباء أقدام تلْتطم بالغَسَــق؟ـ
نصٌّ يتناسل في نصوص

أ ـ المتن ـ **«قصر البديع»**/بوّابات تنفتح أو تنغلق
احتفاءً بالأسرى
أو احتفاءً بالتّائبين،

ولسانك خنجرٌ، أيها الشّاهد. وبين يديك، يختنق الصّدق،
في أروقةٍ ودهاليزَ
في زنزانات ومقاصيرَ
لا تزال ترتسم عليها حشرجات القَتْلى.

ب ـ الهامش ـ المحيط/انجذاباتٌ في أعياد شبه منطفئة، ـ
حلقاتٌ تتواترُ، أشكالٌ تلغو، والرموز تتناثر صورةً صورة.

قدّموا سلامكم لعميانٍ
يتّحدون في الظَّلام
ويتسوّلون انْحِنَــاءً للنّور، ـ
قولوا إنها المادةُ تترقرق في ماء اللّحظات،
قولوا إنها الرّوح تصالح الرّيح.

أنظر كيف يستقبل اللّيل خطوات الغبار
أنظرْ كيف يتدلّى الخرز الأحمر الأبيض الأزرق
من عباءات الفضاء

أنظر إلى الوجوه تفترش التراب وتَسْتَســقِفُ السَّماء

هذا النّجم ترسٌ، ذلك مائدة
هذا طبلٌ، ذلك أسطوانة
والمناخ قفْطان
أنظرْ/مَلاكٌ يهبط من الزّهرة
أنظر/غزالٌ مزمومٌ بسلاسلَ من الظّلمة

والظّلمة على التّراب
وإليك، أيها الترابُ، ينتهي العلم.

تخاييلُ   أوهامٌ   خَطَراتٌ
ما السؤال السّاقطُ السّؤال اللاّزم
الجوابُ الجائز الجواب العادل
وكيف نغتسل من عِشق عادة الإلف؟

حاسٌّ وأشكّ في هيئة المحسوس
مُضطرٌّ ببديهة العقل ولست أتيقّن، ـ
قَوْلي ينكسر/
هوذا الثّلج حارٌّ، هي ذي النار باردة
هوذا المعلوم ساكنٌ وهو في نفسه متحرّكٌ،
غامضٌ وهو في نفسه الواضح، ـ

هل أقول فسد الاعتقاد وساغ لكلّ قائل ما أراد
هل أقول سلامٌ لهوايَ سلامٌ لطبعي
أَسْتحسنُ ثم أستقبح
أستْصوبُ ثمَّ أستخطىء
أستحلي المرّ أستمرّ الحلو

وأجد الشيء على خِلاف ما هُوَ/

سلمتِ يا أخلاطي.

جامع الفنا/

كونٌ مشحونٌ بكهرباء الذكرى، ـ أجسامٌ تُرْسِل،
أجسامٌ تَلتقطُ في سحرٍ يتقدّس وخرافةٍ تُرضِع
بنْتَها السّماء.

هل تتمايلُ الفضّة سُكْراً بالمئذنة؟
هل يترنّح الذّهب انتشاءً بالأذان؟ ـ
في امتدادٍ بِرَقْش التعاشيبِ
يتنسّم تراباً يتنسّم الله/

احمرارٌ صفرةٌ بياضٌ
وها هو الزهر يترنّح، ـ
وأنتَ، أيها العابرُ،
هل استطلعتَ درجاتِ الضّوءِ،
وقِسْتَ سلالم اللّون؟
هل انْسَلَلْتَ في حشود كرويّة
مستطيلة مثلّثة تتناوبُ رصْدَ الأفلاك؟

قَبلَ الميلاد   قبل الهجرة

بعد الميلاد   بعد الهجرة

سنواتٌ تترادفُ، تغدو وتروحُ في عباءاتٍ من وَبَر السلاطين.

مطابقاتٌ بشر وتأريخ. أسوارٌ تتداخل أو تتوازى، ـ

سحابة واحدة/ماء واحد

استطالاتٌ ترتدّ، ـ ألَنْ ينكسرَ مكّوكُ هذا النّسيج؟

ماذا فعل ميم، ذات مساء، من نشوء العالم؟

أكل ولعب ونام وربّما...

ماذا فعل سين، ذات مساء، من تاريخ العالم؟

أكل ولعب ونام وربّما.../

جنسٌ يَلْتهم الجنس.

ـ كرّرْ أيها الدرويش الأعمى

ـ لا بدّ من نُحُولِكَ ليسمنَ الموت. لا بدّ، لكي يحضر، من أن تغيب.

عاديٌّ وخارقٌ هذا القدَرُ الذي نُشاطئه

ولا تزال تتّسع للّعب هذه المسافة بين الآنِ وهنا/

لكن، ماذا يجدي أن أهربَ إلى عريكِ، أيتها الدنّيا؟

لكن، محتاجٌ لكي أموتَ، إلى سؤالٍ أطرحه على الغيب،
ولا وسيطَ لي، وما أشقى أن أموتَ كأيّ حيوان إلهــيّ.

ما لهذه اللّغــة، ـ
بابٌ يخرج منه الكلام شاهداً ولا يعود إلّا مقتولاً.

ما لهذا الدّرويش الأعمى، ـ
التباسٌ بين الرّوح والرّيح
وأحارُ: أيهما الصّورة، أيّهما المعنى؟
أهو التباسُ إيقاعٍ أم اشتقاق؟

وما هذه الشهادة، ـ
هل بدأ العالم هل يبدأ
لنقول إنّه ينتهي؟
وأنتَ، أيها الإيقاع المتكبّر، تواضَعْ، ـ
هل يمكن العالم حقّاً
أن يدخل إلى بيت اللّغة؟
آه، كم أفضّل عَكَرَ ما يجيء على صفاء ما جاء!

٧

« تستطيع أن تمسكَ الشّمس بيديكَ» ، قالت وأخذت تركض

وراء طفولتها بين عربات الخيل التي خُيّلت إلينا نخيلاً آخرَ يخبّ على الأرض. وتلك هي بساتين الزّيتون، تحتضن أوراقاً خرجت، مرّةً، من أنحاء **الشّآم**، واستسلمت لِحِبْرٍ آخر/ أهلاً، أيها الحبر، وعهداً أن نمتزجَ بك، ـ

. . . وحين تعبرُ **إيفران وإيموزار** لتضع وجهكَ على وجه **فاس**، تَنْخَطُّ في كتاب تكتبه النباتاتُ، وزّالاً وخُزامى، ويتنافسُ الشّجر في إملائه.

بَغْتةً،

عَسَسٌ يطوّق الهواء ويكبحُ هديلَ الدّروب

عسَسٌ يكسر أعناق الشّجر ويُداهم الورد/

ـ من أيّ شيء تخافون؟

ـ من كل شيء. من الكتابِ والكيفِ، الحشيش والحِبر، الذّكر والأنثى، النّهار والليّل. . .

لكن،

ها هي شمسٌ ما، تتهادى معنا في هذه البطائح.

بخارٌ ينهض وراءها. غيمٌ ينهض من البخار/

يَنْعَصر وها هو ينحدر.

وما أنضرَ تلك السّحاباتِ ـ
غرابيلَ للمطر، وتخاريمَ للفضاء.

وأنتَ، ما أضيقكَ ـ اتّسْع يا حقلَ الإشارات
بين طبعيَ والطّبيعة رؤىً ومكاشفاتٌ، ـ نشوةٌ واحدةٌ/
رعشة واحدة. في أخوّة خفيّة ـ عَتَمةٍ بلّورية!
إنه الانخطاف تلغزه السّريرة. إنّه الرّصد البصائريُّ
في وهْمٍ يطوّف بين العناصر كأنّه اليقين.

وأنتَ، أيها الذاهب صُعُداً في منارات سقراط،
هل تلمح جثّةَ الحلاج، والذّبابَ الذي يحوّم؟
ترأّفْ، وَاكِبْ هذه الفراشة،
تمهّل استبْصرْ تحدُّبَ هذه النّملة، ـ
وفاءً للشمس، تلك البغيِّ المقدسةِ
حيث الأعراسُ:
ينشأ دخانُ التكوينِ
يحدث الفَتْقُ
ويُبْسَط قميصُ الأشياء.

هكذا،
حين تضعُ وجهكَ على وجه فاس، تستَسيغُ رائحةَ العفن،

حيث تتكَوْكَبُ نساءٌ لهنّ لونُ الغِسْلين، ويسير أطفالٌ شظايا كواكبيّة.

ـ بالكَ! Attention !
إنه الحمار السيّد، يتدثّر بكآبة الطفّولة
ويَعْبُرُ مثقلاً بأنواع الملائكةِ
من الخضار والفواكه والبقول.

ما أجملَ صبركِ، أيّتها الأميرةُ الأتان!

VI

فاس/
هوذا التاريخ ينزّ من الجدران، يطلع من النّوافذ، يمسكنا بأيدينا ويسير أمامنا، ـ
تقدّموا في هذه الزّنْقة، أبوابٌ تُطبق على السرّ الذي يمكن أن يُسمّى الجهرَ ـ وذلك المحْوُ يرشدكم. الخطوة تسْترشدُ بالخطوةِ، لكن القدمَ تمحو القَدَم. وللطّين كتبٌ وقراءات، وللفخّار أقلامه وصحائفه ـ «نساءٌ/الخواصرُ نحاسٌ، والفخذان يمامتان. في بيوتاتِ الوَرْد يراهِقْنَ، تحت خيمة العِطر يتزوّجْن».

ـ كيف تجرؤ خطوطُ الكهرباء أن تتمطّى فوق أردافِ هذه الأتانِ؟

ـ «أسرعي! ليُعْطِكِ الله العذابَ والمحنة!»، يقولُ لأتانِه، ويَدْلفُ إلينا قنديلاً يتدلّى بلا سَقْف وها هو يتدحرجُ ويغيب

في «وادي الشرفاء» في دمٍ يتحوّل إلى حصى،

في حصىً يلوّن الأزمنةَ.

وعند «جامع القرويين»، تتكوّمُ الأشياء رؤوساً وأضغاثَ أحلام، ـ

ما أطيبَ أن يمتزجَ كلّ شيء بكلّ شيء

رغيفٌ بدفتّي كتاب،

«مختارات لينين» بـ«الروض العاطر» ـ

ما أبهى أن تجدَ امرأةً تتخلّلُ الجزَر والنّعْناعَ

أو امـرأةً تصرخُ بك: أشتهيكَ، ما أجملك!

ما أشهى أن تنظر إلى محرابٍ كأنّك تنظر إلى جسد،

وأن يختلط عليكَ ما تشهد: أهذا هو الترابُ أم التِّبْر؟

أصْغوا. هَيْنمةُ فقيه.

أدخلوا/كلاّ.

واسعةٌ هي أبوابُ الله، ضيّقةٌ هي أبوابُ الدنّيا، ـ
من أين لك أن تدخلَ، أيّها الزّائل؟

عاشقان/زاوية
غانية بلثام أخضر، ـ
كريمٌ وخيّرٌ، أيّها الجامعُ الذي يتوسّط سوقَ الطّبيعة وسوقَ الطّبع.
أنتَ السّرَّة، حَقّاً.
وما أبَرَّ هذا التجاذبَ/التنابُذَ
بين الجحيم والجنّة!

VII

أدونيس!، ـ

إنّها اللّحظة إيّاها تتسرّب إليه، وترفع أحزانه جبالاً. يتدوّر على حناياه وينكسر في زحام يتهودج أعراساً أعراساً، ـ
ماذا ستفعل، أيها الشّعر، ما بذارك الجديد؟
في بلـدانٍ تزدهي بجدبها
في لغات تفرز الأوبئة...
هل يكفي أن تَتَطوْفنَ وأن تتبَركن؟

إذن، قل أنا الطّاغية وأعلن جمهوريّة الهدم.

حقّاً أنا الطّاغية وأعلن جمهوريّة الهدم/
ألا، فلنْكنْ شغلكَ الرئيسَ، أيها الانشقاق، وليهتزَّ تحت
حواسّنا عرش الأشياء، ولتتزلزَلْ دولة الموازين، ـ
قولوا لأحلامكم أن تأخذ مكانَ النّجوم وتتدلّى،
قولوا لأفكاركم أن تأخذ مكانَ الشّجَر وتتأصّل،
احتضنّا، يا جنسَ الولَه، ـ ما بعد الملاك ما قبلَ الشيطان،
والنّفْيُ لك، أيها الرّضى!

VIII

حركاتٌ وهيئاتٌ تتموْسَقُ بين البصيرة والبصَر. للغضب تقاطيع الرّاحة.
للكآبة رنّة النّشيد. للألم غُنّةُ الأذان. وللملامحِ السّطوة، ـ

انزواءٌ تقول إنه يوسوس لك
الشهوة آية القلب
وقل لكلّ امرأةٍ أنتِ الأخيرة وأنتِ الأولى.

هكذا، تيسّر لفاس أن تنظّم لذائذهَا وأن تستنفرَ جيوش الرّغبة.

في نقوش حلقات
في طُرَر مناجيات
ولكَ الأبّهةُ، أيها الخطّ الكوفيّ!

لا مجدُ الغزو، بل مجد الاستقبال
لا فرحَةُ أن تغلبَ، بل فرحة أن تحيا
لا توحّش العُنف، بل أنس مكْرٍ كأنّه من مكْر الله/
سلاماً لعلم البصيرة في هذا الهيكل الآدميّ الذي يعمل
لا ليملكَ، بل ليكون
في طقسِ التحوّل
طقس ما لا يتأسّس
طقس ما يتناقض وينقض
طقسِ الرّئة والحاسّة، ـ

اقتربي، أيتها الطّالعة المحجبة، أما قرأتِ: «أوّل المحبّة معنى أبداه الله سمّاه حسْناً. ثم أبدى شخصاً أَلبسه ذلك المعنى، وسمّاه حسناً، ثم قابلَ الحسن بالحبّ، والمُسْتَحسِن بالمحبّ، والمستَحسَنَ بالمحبوب؟».

اقتربي، أستْحسنكِ وألقي عليكِ محبّتي، ولن أغطّي وجهي

مخافةَ الافتتان/قرأت أنه قيل:
«ثلاث يزدنَ في قوّة البصر
النّظر إلى الخُضرة
والنّظر إلى الوجه الحَسن
والنّظر إلى الماء الجاري»/

هكذا، يطلع حسنكِ طلوعَ النّور النّاطق على بنْيَة الطبيعة، ـ

اقتربي ـ جالسةً، قائمةً، عاملة،
نمؤمىء التفكّكَ، تحيّةً لهذا الجسد
المتهالكِ، الوفيّ
الذي يهيْمِن على فنائه، كأنه يسأل الموت:
لماذا تتلعثَمُ، أيّها الطّفل؟

IX

لا «جامع الفنا»، لا «جامع القرويين»، بل لُجّةُ البشر، بل المحيط والدخول في حالات، ـ
حالة التصدُّف/كلّ شيء مُرْجأ
حالةِ الانجلاء/بدايةٌ ما
حالةِ الوسوسة/مَرْحى للمنعزل المتضامن

حالةِ اللّحظة/ إليكَ أحشائي يا صديقي الوقت،
أتبعثرُ في المنقطع
أتواصلُ في التّبعثِر
والوجود صخرةٌ يعبر أمامَها النّهارُ طيراً شبهَ مخنوق،
والدّنيا بقامَةِ الفأر، ـ

أستبصر وأتساءل: أيهما الأفضل ـ أن تتمَنْهَج أو أن تَتَفَوْضَى؟
ذلك أنّ فوضايَ قطارٌ للحواسّ، مراكب للأعضاء
ذلك أنها وسائدُ للعضلات وأراجيح
ذلك أنها شرفات
ذلك أنها معاول وثقوبٌ في إسمنت الحصار
ذلك أنها وعدٌ ما ـ

«جبل زالاغ»/دَثّريني يا أشجار الزّيتون، ـ
وحيٌ
من
هذه
الجهة:
مَنيّ نبوّةٍ يبارك أحشاء السّهول!
«جنانُ ابن حيّون»/أَفسحوا لابن عربيّ، ـ

في جسدي نارٌ أسمعها تقول أكل بعضي بعضاً
في جسدي نارٌ كأنّ لها نفسين، نفساً في النهار ونفساً في
الليل
في جسدي نارٌ بعلوّ الهواء ولا تطاولني
في جسدي نارٌ تأكل وتشرب ونارٌ لا تأكل ولا تشرب، ـ
ووجهي أخاديدُ أُرَقٍ والشّرائع تخليط
وها قامَتي منكسسة في ماء الكَشْف
وأرى كلّ شيء بخلافِ ما هُوَ/
لكن، ما أشَفَّ أن يَلْتبسَ عِلمُ الطّريق في مواسم الوحدة

بين اليد والقلب
العمل واللّغة
الكلام والصوتِ، ـ
الغِناءَ الغِناء!
ما أصحَّ «ملحونَك»، أيّها المُسْمِع
ما أرَقَّ «عروبيّاتك»! ـ

الكلماتُ تتشكّل محراباً محراباً
والفضاءُ ينسجُ التآويل.

X

بين هذا الفَخّار النّازِفِ حنيناً كأنّه يُرَقّشُ لهاثنا في ازرقاقه،
بين يوم يَتَتَوّج بالدّمع ويوم يتتوّج بالدم
شهراً بعد شهر،
سنةً بعد سنة،

ماذا يفعل الشّعر
. . . في عصرٍ لا يحدّهُ الورَمُ لا تحدّه الفجيعة
عصرِ الهلاك، مجّاناً
عصر الغيلة، التذاذاً
عصر يسمّي الكتب أحذيةً
والسجونَ مقاصير
والآلاتِ آلهة، ـ

أُفٍّ للعصر العربيّ الثالث
وسُحقاً للإذاعات والصحف، للتّلفزيون والسّينما
وسُحقاً للفيزياء والذرّة/

ولم نعد نعرف
هل ندور حول المهد أم حول اللّحد

هل نتجّه إلى اليمين أم إلى اليسار
هل نسيرُ إلى الوراء أم إلى الأمام؟
وكيف نضبطُ لنفوسِنا إيقاعاتها؟

حَقّاً، كأنّ في مفاصلنا حرباً أهليّة/
وكلّ شيء يقف وحده
كأنّه خرج من المعجم وضيّع حروفَه.

المدنُ بحارٌ ميّتة
الشوارع أيتامٌ وأرامِل
والحياةُ ـ وجهٌ تتقمّصه الكارثة، وصدرٌ
يرجّه الذّعر
لا من رصاصةٍ تطيش أو تتأنّى
لا من قنبلةٍ تكتنه أسرارَ الوقت،
بل من ساحات لا تمتلىء بغير الفرائس
بل من عالمٍ يَبْلى
ومصائرَ تُرْسَمُ في نَرْد الأشلاء، ـ

أستدركُ، ـ
أقول لخطواتي التّحدي بأحلامي،

وأرسم لمشروعاتيَ تخطيطاتٍ:
في جنون الجسد شفاءٌ للرّوح
تاريخ الأعضاء تعقيبٌ على تاريخ الرّغبة
أسمع ريحاً تشافِهُ الحجرَ ورعداً يُواطِىء الغيمَ، -
وما أغمضَ الكلامَ الواضح!

. . . وحين أذكر بيروت، أعني
دمشق الرياض بغداد القاهرة

أذكر قبائل تتهدّم وأغتبطُ
كأنّ المستقبل يتربّى على يديّ!
وأقول أدخلُ في اللّهب وأقاسمه أبعاده. أحشد ما تيسَّر من نجوم التشرّد وأشاركها التشبُّع. أكتب رسائل إلى مجهولات الأشياء أوقِّعها بأسماء أذكر منها أرواد ونينار. وكثيراً ما أنطلق في الغناء تحت غيمة تركض، وأُدْهَشُ حين تتوقّفُ كأنّها تصغي. وكثيراً ما أحلم أن أبدّل مواضع النباتات في الطبيعة كما أبدّل مواضع المقاعد في البيت،
ثمّ أشيّد وهْماً،
لا لشيء
إلّا لكي أتخيّلَ مفتاحاً ما

لبابٍ ما.

أُفٍّ للعصر العربيّ الثالث!

آلافُ التّواريخ تستيقظ بين راياته
آلاف الأعراق تتزاحم تحت قناطره
آلافُ الأجناس تتقاطرُ تحت موائده ـ
هو الجائع، السّجين، العاري/

تهيّأي، أيتها المِللُ، استيقِظي يا قبائل!
هوذا طَقْسُ الافتراسِ
هوذا خاتَمُ الطّقوس!

XI

جامع
سلطان ديوان
مرآة/صورة
هيروغليفيّة مماثلة
مراكش دمشق القاهرة
بغداد القدس فاس

والحياة النّومُ
والموتُ اليقظة

سراطينُ
ضُبّانٌ
زواحفُ من كلّ نوع تقتحم الأرض والإنسان يصطادُ السّماء، ـ

إنّه الله
يتقدّم
في جنسٍ
حيوانيّ
يتخَلّف/

وما هذا العامّ الذي يتأسّس على قتل ذلك الخاصّ؟
تُعْساً لهذا البخار البشريّ في هذا المِرْجَل:
تمرّد عقل يَعقلُ الجسد
في ثورة خادمٍ تخدم السيّد.

إذن، إلى ولادتكَ الثانية
أيها العربيّ المتسأصلُ نفسَه من نفسِه،
الضّاربُ في أحشائي، ـ

انظروا إليه ـ
يقتلُ عصرَه، ويرتِّب أبجدية البدايات، ـ
أنظروا إليه، لكن

استعينوا بالأنوار الباطنة
آنذاكَ تدخلون في عهده: أنْ يُضيفَ إلى الحروف
علامات يكشفها لكم،
وعلامات يُسرُّهـا إلى حين،
ذلك أنّه والزّمن طفلان في سرير واحد.

هكذا، يُخرج الشّعر من صَحنِه، ويقولُ
سَيْطِرْ هانئاً، أيّها السّديم!
وهذه قصيدتي تلبس قفطانها
في شَططٍ موزونٍ في رياضيّاتٍ يمليها القلب.

بلى! يمكن أن تكون شاعراً هنا
بين العَسَس والسّجن
بين أيموزار وطنجة
بين أصيلة وأغادير،

يمكن النّخيل أن يكون عَرَباتٍ

يمكـن الضّوء أن يكون حوذيّاً
يمكن أن تؤذّنَ السّوق ويهرعَ المسجد
يمكن أن يعقَد الشّايُ الأخضر مجالسَ الأمانات،
وأقواسَ الجَذْب والنّبْذِ،
يمكن أن يكونَ **الأطلس** سفَرَ **المتوسط**، **والمتوسط** سفينة **الأطلس**
يمكن أن يكون «**باب المحروق**» «**باب الفتوح**»، ـ
وهذه قصيدتي تلبس قُفطانها
والإيقاع دمٌ يتدفّق في شريانِ الحاضر...

ـ **سيدي اللعبي**، **سيدي الخطيبي**، **سيدي بنيس**،
ـ واخا، واخا/
والسّلام لبقيّة الأصدقاء جميعاً
من شرفاتِ **أصيلة وطنجة**، حتى عتَباتِ مراكش **وفاس**،
السلام للفضاء الذي يؤرخ لنا
السّلامُ للشّهب التي تؤسّس الفضاء، ـ

ألف لام ميم
ذلك الكتاب
لا رَيْبَ، لَا رَيْبَ.

(أوائل أيلول (سبتمبر)، ١٩٧٩)

المطابقات

الكتابة

أَلفضـاءُ دمٌ واجتياحٌ، ـ
جعلتُ الكتابةَ مَهْوى:

كلماتي تدلّت
جسدي يتدلّى
ورأسيَ يَدْنو. . .

بحث

/... طائرٌ

باسطٌ جناحيْهِ، ـ هل يخشى

سقوطَ السّماء؟ أمْ أنّ لِـ

الرّيح كتاباً في ريشهِ؟ الـ

عُنُقُ استمسك بالأفْـقِ

والجناح كلامٌ

سابحٌ في متاهةٍ.../

الشعراء

لا مكانٌ لهم، ـ يُدْفئونْ
جسد الأرضِ، يصنعونْ
للفضاءِ مفاتيحَهُ، ـ

لم يُقيموا
نَسباً أو بيوتاً
لأساطيرهمْ، ـ

كتبوها
مثلما تكتب الشّمسُ تاريخَها، ـ

لا مكانٌ...

الاسم

سمّينا
شَجَرَ الزّيتونِ عليّاً
والشارعَ فاتحةً للشمس، /
الرّيحَ جوازَ مرورٍ
والعصفورَ طريقاً. . .

التجربة

حسناً، لن أنامْ
سأحاول أن أتقرّى دروبي، وأعرفَ ما يعرف الآخـرونْ.

حسناً، سوف أدخل هذا الزحامْ، ـ
خطوةٌ، خطوتانِ، ثلاثٌ. . . /

رجلٌ ميّتٌ، شرَطيٌّ
رجلٌ ميّتٌ، شُرَطيٌّ
رجلٌ ميّتٌ، شرَطيٌّ. . . /
/لن تكونَ علينا شهيداً/
ها أنا في محيط الكلامْ
ورَقٌ سابحٌ، ورأيت كأنّي أكرّر ما قاله الآخرونْ
ورأيتُ كأنّي أنامْ.

الأطفال

قرأ الأطفالُ كتابَ الحاضرِ، ـ قالوا:
هذا زمَنٌ
يتفتّح في رحمِ الأشلاءْ، ـ

كتبوا:
هذا زمَنٌ شاهَدْنَا فيهِ
كيف يُربّي الموتُ الأرضَ،
وكيف يخونُ الماءُ الماءْ.

الشاعر

العالمُ يشحبُ، والكلماتُ نساءٌ
يقرؤهنّ،
يراودِهُنّ كموتٍ:

ما يقتلُهُ، يُحْييهِ
يصنعُ من كَفَنِ التاريخ سريراً آخرَ، يولَدُ فيهِ.

التائه

لم يكن بيننا مَدَىً ـ
شجر الحبّ غبارٌ،
والليّل مركبةٌ تحمل خطْوي، وتحمل الصّحراءَ

لم يكن بيننا مدى ـ
كانت السّاعة عُرْياً
وكان موتي رداءَ:
وارِثُ الرّملِ ـ
يحمل الحجرَ الأسودَ خبزاً
والشمسَ ظِلاّ وماءَ.

الجنون

إلى الياس خوري

كذبوا ـ
لا تزال طريقي طريقي
والجنون الذي قادني لا يزالُ أميرَ الجنونْ

وأنا سيّدُ الضوء ـ
لكنّني كي ألامسَ أقصىَ المسافاتِ
أخلعُ نفسيَ، حيناً،
وأخرج من خطواتي

وأتوّجُ نفسي
مَلكاً، باسمِ ضوئي، على الظُّلماتِ.

الحوار

ها هُنا نلتقي ونغنّي ونكتبُ
ـ هذا قليلٌ
ونسيرُ، ونهتفُ
ـ هذا قليلٌ
ونشقّ الطريقَ ونهجمُ
ـ هذا قليلٌ.
ونغيّر هذي الوجوهَ ونجرفُ هذا الظلامَ،
ـ قليلٌ، قليلٌ.

[إنه، الآن، يعبر بين الحطامْ
ويقول لأحلامهِ وخطاهُ:
ليس هذا جديراً، ولا كافياً].

وافترقْنا:
سيكون لنا موعدٌ آخرٌ للكلامْ.

أدونيس

قال: هذا الشّجَرْ
لا يزال، كما كنتُ، في سنوات الصِّغَرْ
ألدّروبُ إليه كتابٌ
والحقولُ الصُّوَرْ.

حي الميدان

جئتُ، وجاء الصّوتُ، وجاء اللَيل/مَزَجْنا
بالنّار، وبالجسدِ الألوانْ
ورسمنا
نهديْنِ ووجهاً

كان الصّوتُ رغيفاً أسودَ، كان اللّيل أنيناً ـ
والقمرُ الشاحبُ مكسورٌ
في بيتٍ من خَشبٍ
في حَيّ الميدانْ.

قيس

كان قيسٌ يقول: اكتسيتُ بليلى
وكسوتُ البَشَرْ

ورأيتُ إليه يُغطّي
وجنتيهِ بنارٍ
ويسامرُ غاباتها ويُطيل السَّمَرْ.

ورأيتُ إليه يلمُّ القمَرْ
حُفنةً حفنةً من ضِفافِ السّهَرْ.

جلقامش

كان بيني وبين طريقيَ مثلُ الحدادْ
حين راحت بلادي تضيق وتجتاحني صبَواتٌ
غيرُ ما كان بيني وبين خُطايَ - إذنْ
متُّ،
وانطفأتْ كلماتي؟

هل أقول، إذنْ: ضاعَ وجهي؟
هل أقول: ابتكرتُ الرّمادْ؟

النفري

ساوَتْني شمسيَ بالأشجارِ
وبالأنهارِ
وبالبؤساءِ/سَلُوها
كيف نَفَتْني

نَثَرتْني في الطُّرقاتِ وفي لهجاتِ الغربةِ حَرْفاً حرْفاً
لا تَسلوها

أسْلمتُ لتيه الشّمسِ خُطايَ ـ
رضيتُ لوجهيَ هذا المنْفى.

حي الشاغور

شيخٌ : وردةُ أحلامٍ
تذبلُ في عينيهِ،
ساقُ الوَردةِ عُكّازٌ
مَحْنيٌّ
يعرجُ
في
ساقيهْ،

والأوراقُ جِراحٌ
تتطايَرُ من كفّيْهِ.

الثورة

رمزاً، أو جسراً
لسقوطٍ يأتي
لنهاياتٍ أخرى،-
أتنشّقُ هذا الحجر السّابحَ في رئتيكِ، وأزفرُ
هذي رئتي
في الجهة الأخرى من ذاكرتي.

غنّيتُكِ في صوت الأحياء، نقشتك في صمتِ الأمواتْ
وكتبتُكِ في اللهجات، وفي الطُّرقات، وكل فضاءٍ، حتى
أغرَتني كلماتي

أن أمحو نَفْسي...

أرمادُكِ هذا؟ لكن
هل كلّ رماد يصنع وَجْهاً؟

لا أعرفكِ الآنَ، سؤالٌ:
هل أنتِ الحِبْرُ أم الممحاةْ؟
لا ألمحكِ، الآنَ، ضبابٌ:
هل أنتِ الوجهُ أم المرآة؟

الأطفال - ٢

هوذا التّاريخ ركامُ
والناسُ دمٌ يتخثّرُ، والأيام قبورٌ/
عن أيّ فضاءٍ
عن أيّ دروبٍ تنشقُّ الأيامُ؟

سمع الأطفالُ سؤال النّار وناموا
ألجسمُ كتابٌ من لَهَبٍ
والوجهُ سلامُ.

قاسيون

زائِرٌ يقرعُ البابَ/أهْلاً
بصديق الغِفاريّ،
أهلاً.

ـ مَن رأيت؟ وماذا سنفعلُ؟ هذا
مِزْودٌ للطّريق، وهذا
غَضَبٌ شاءه الجامحونْ:

لن يكونَ ظلامٌ على قاسيونْ.

أبو تمام

يحدثُ أن يأتيَ ليلٌ وأنْ
يقرأ للضوء كتابَ الظّلامْ

يحدث أن يُصْغي شعري، وأن
يقولَ للشمس: هنا عهدُنا

صِرْنا دماً فرْداً، وصار المدى
فِي وجْهِنا، مُستقبلاً للكلاْم.

بودلير

شعرٌ في شهواتيَ، بين جفونيَ، فوق سريري
شعرٌ/جسدٌ،
كالأرض غريبٌ
كالأرضِ أليفٌ،

والجنسُ قميصٌ من نورِ.

رينيه ماريا ريلكه

بعد أن تستسلمَ الوردةُ للشمس، وتذوي
تَرث الرّيحُ الغُبارَ الذّهبيّ
وتقول الأرض عن أشلائها:
هذه أغنيتي رُدّتْ إليّ.

أبو نواس

لغةٌ ـ فِتْنَةٌ/كلماتٌ ـ دَمُ
والسّماءُ مفترَقٌ
وأنا عابرٌ
بالسّماءِ يَلتطمُ.

الهامش

كي يظلّ امرؤ القيس وعداً
ويكونَ لعُروةَ أن يُطعمَ الفقراءَ، ـ

رَسَم الغاضبون خطاهم
لهباً واختراقاً،
وأباحوا الفضاءَ.

الأوائل

أول الشيء

كيف أعطيك شكلاً

أيّهذا الصّديق الذي لا يزال يعاندُ؟ سمّيتكَ الشيءَ - قلتُ:

امتلكتكَ. لكنّك الآن تنفرُ، واسمكَ ينفرُ/ماذا أسمّيك؟

هذا مكانك؟ غيّرتَ نوركَ أم أنني

لستُ نفسي؟ أأنا أنتَ؟ لكنّ ضوءكَ ما زَال يَسْطعُ - كادَ الحريقْ

أن يجوسَ عروقيَ ملتهماً كلماتيَ - مَهْلاً

أين، أنّى، وكيف أسمّيك، أعطيك شكلاً،

أيّهذا الصّديقْ؟

أول الظن

ها أنا أولَدُ الآنَ ـ

أرنو إلى النّاسِ :

أعشقُ هذا الأنينَ / الفضاءْ

أعشق هذا الغبار يغطّي الجبينَ / تنوّرتُ

أرنو إلى النّاس ـ نبعُ / شَرَرْ

أتقرّى رسوميَ ـ لا شكلَ غيرُ الحنينِ

وهذا البَهاءْ

في غُبارِ البشَرْ.

أول الجسد

زهرة الأقْحوانْ
سرقت نفسها من شقوقِ الزّمانْ
فرشتْهَا سريراً.
رغبت أن تمدّ خُطاها
شارعاً وتوازت

مع سريرٍ على بَرَدى/والمكانْ
غيرُ هذا الذي يتسَمَّى
قاسيون، وغيرُ السّماءِ ـ المكانْ

زهرةُ الأقحوانْ.

أول الشعر

تحية لكمال جنبلاط

أجمل ما تكونُ أن تُخلخلَ المدى
والآخرون ـ بعضهم يظنّك النّداءَ
بعضهم يظنّك الصّدى.
أجمل ما تكونُ أن تكون حجّةً
للنور والظّلامِ
يكون فيك آخر الكلامِ أوّلَ الكلامِ
والآخرون ـ بعضهم يرى إليك زبداً
وبعضهم يرى إليك خالقاً.
أجمل ما تكون أن تكون هدفاً ـ
مفترقاً
للصّمتِ والكلامِ.

أول الكتاب

فاعلاً، أو ضميراً ـ
والزمانُ هو الوصفُ. ماذا؟ تكلمتَ، أو يتكلّم
باسمكَ شيءٌ؟

تستعيرُ؟ المجازُ غِطاءٌ
والغطاء هو التّيهُ ـ
هذي حياتُكَ تجتاحها كلماتٌ
لا تُقِرّ المعاجمُ أسرارَها/كلماتٌ
لا تجيبُ، ولكنّها تتساءلُ ـ تِيهٌ
والمجازُ انتقالٌ
بين نار ونارٍ
بين موت وموتٍ.

أنتَ هذا العبور الذي يتقرّى، ويولد في كل معنى:
لن يكونَ لوجهكَ وَصْفٌ.

أول الحروف

لم يعد للقصيدهْ
غيرُ هذا الصدّى ـ
آتياً من رُكام المدائنِ، مستوحشاً،
أعيدي:
«لم يعد للصّدى
غيرَ أن يتلبّسَ نارَ الكلامْ...»

من رآكِ تجّرينَ خطوكِ بين الحطامْ
غيرُ هذا الكلامِ ـ أعيدي:
«لم يعد للصّدى
غير هذي القصيده...»

أول الكيمياء

لا أريدُ لمهيارَ أن يترسّمَ خَطّ السّوادِ ـ
يكون، إذن، عاصياً.
لا أريد لمهيار أن يترسّمَ خَطّ البياضِ ـ
يكون، أذن، طيّعاً.
لا أُريد له أن يكون القرارَ
ولا أن يكونَ جواباً ـ
بل أريد لمهيارَ أن يتلبّسَ وجهَ الفضاءْ

مَرْحباً، زهرَةَ الكيمياءْ
نحن، هذا الصّباحَ، شقيقانِ ـ نِدّانِ،
والكونُ فينا سواءْ.

أول العهد

أين صارت رياحُكَ، مهيارُ، أينْ؟
لا تقلْ: خانني مداري
لا تقل: ضلّلتني دروبي، ولم تهدني خُطواتي
أين صارت أغانيكَ، مهيار، أينْ؟

ـ أعلنُ، الآن، أختارُ هذا المكانْ
كلماتي فؤوسٌ
ولصوتيَ شكل اليديْن
أعلن، الآنَ، أنّيَ حطّابُ هذا الزّمانْ.

أول الحنين

حَنّ مهيارُ للقصباتِ النّحيلة في غابةِ الذّاكرهْ
تقرأ الأرضُ كفّيهِ،
واللّيلُ يلبس أهدابَهُ/الذاكرهْ
عُرُسٌ.

كان فجر الينابيع يُتْتِمُ والحبّ يكسو
جسَدَ الذّاكره
حَنّ مهيار للنّار تَلْتَهِمُ الذاكرهْ.

أول الشعر ـ ٢

. . . إنه العُرْيُ يكشف عن جثثِ الكلماتِ

إنّه الكونُ يذبلُ،
ضيّعتُ ناري

لغتي غيرُها
خطُواتي
لم تعد خُطواتي.

أول اللغة

لم تعد هذه المدينَهْ
أُفُقاً أو مداراً

يَنبغي أن نؤسّس حتى نراها
ونرى أنّنا نراها،

نظراً لا يزال جنيناً
لغةً لا تزال دفينَهْ...

أول الصداقة

في العام الألفينْ ـ
أعْني الآنَ، عنيتُ غداً، أو بعد غدٍ، أدعوكَ إلى مائدتي
وتكونُ الشمسُ، يكون الماءُ، يكون العشب ضيوفاً/
نتخاصمُ: أيّ رؤانا أعصفُ،
أيّ خُطانا أنأى ـ
نتصالحُ تحت سماءِ الشّعرِ،
ونعلنُ مملكة الخَصْمَينِ ـ
ووحدةَ هذينِ الخَصْمينْ.

أول الفروقات

خَرَجَ الشّعر طِفْلاً إلى الشّرفة العربيّهْ، ـ
كانت الشمس تَفْتحُ
والريح تمسحُ أَهْدَابَهُ النبويّهْ:

لا صدىً بين صوتي وهذا الفضاء، ـ
هل حنينيَ غيرُ الحنينِ، ندائيَ غيرُ النّداءْ؟

ليس بيني وبين جذوري
ليس بيني وبين حضوري
غيرُ هذي العروق النّحيلةِ في جسدِ الأبجديّهْ.

أول العشق

قرأ العاشقون الجراحَ/كتبنا الجراحْ
زمناً آخراً، ورسمْنا
وقتنا:
وجهْيَ المساءُ، وأهدابكِ الصّباحْ
وخُطانا دمٌ وحنينٌ
مثلهم/
كلّما استيقظوا، قطفونا
ورَمَوْا حبّهم ورمونا
وَرْدَةً للرّياحْ.

أول الجنون

حين جاءت رياحُكِ تجتاح غاباتِهِ الفسيحهْ
قال: للموتِ شكلُ الفراشةِ
للجنس وجهُ الجنونْ.

ها هو، الآن، يلبسُ ما تلبس الذّبيحهْ
غَدهُ
أمسهُ،
ومداهُ
شَفْرةٌ ـ وغبارٌ من الكلماتِ،
أمامَ الجفونْ.

أول الطريق

أَللّيلُ كانَ وَرَقاً ـ وكنّا
حبراً:

ـ «رسمتَ وجهاً، أو حجراً؟»
ـ «رسمتِ وجهاً، أو حجراً؟».
ولم أُجِبْ،
ولم تُجِبْ/عشقنا

سكوتَنا، ـ ليست له طريقٌ
كحبّنا ـ ليست له طريقٌ...

أول الجنس

غُرفٌ تنحني في سواعدَ، والجنس يرفع أبراجَه ـ
ارتماءً

في خليجٍ من الحزن،
حزنٌ
في خليج الخواصر؛ ـ والجنس يفتح أبوابهُ ـ دخلنْا

كانتِ النّار تزرع، واللّيل يَجْني قناديلَها ـ مَهَدْنا
تَلّةً، وردَمْنا
حُفرةً، وهَمَسْنا
للمدى أن يمدّ يديْهِ. . .

كان ضوء المرارات كالنّهر ـ تاهتْ
ضفّتاهُ، جعلنا
ماءَه ماءَنا، وجعلنا
ضفّتَيْنا لباساً
لهوى ضِفّتيْهِ. . .

أول الاسم

أيّاميَ اسمُها
والحلمُ، حين تَسهرُ السّماء في أحزانيَ، اسمُها
والهاجسُ اسمُها
والعُرْسُ، حين يُمزَجُ الذّابح بالذّبيحةِ، اسمُها

ومرّةً غنّيتُ: كلّ وردةٍ
في التَعَبِ، اسمُها
في السّفَرِ، اسمُها

هل انتهى الطّريقُ، هل تغيَّر اسمُها؟

أول اللقاء

رجلٌ وامرأهْ
يَلتقي فيهما قَصَبٌ وأنينٌ
يلتقي مطَرٌ وغبارٌ، ـ
يتهاوى الرّكامُ،
وتشتعلُ اللّغةُ المطفأه
أيّنا الغيمةُ المقبلهْ
أيّنا دفترُ الحزنِ؟ أسألُ
عيناكِ تِيهُ،
ووجهكِ لا يسمع الأسئلهْ،

وأنا منتهى اللّيلِ، أعشَقُ كي أبدأهْ
وأقول التقى
رجلٌ وامرأه
رجلٌ وامرأهْ. . .

أول الفضاء

جَسَد الأرضِ يستنبىء النّارَ،
والماءُ أقدارُهُ المُرْجاه/
ألهذا تصير الرياح نخيلاً؟
ألهذا يصير الفضاءُ امْرأهْ؟

أول الجنس - ٢

غرفةٌ شُرُفاتٌ ظلامْ

وبقايا جراحٍ
جسَدٌ يتكسّرُ-
نَوْمٌ

بين تيهٍ وتيهٍ

دَمنا دائِرٌ في حوارٍ
والمَتاهُ الكلامْ.

أول الريح

«جسد الليل» قالت، وأكملتُ: «بيتٌ
للجراح وأيامها. . .» بدأنا

مثلما يبدأ الفجرُ، ندخلُ في الظلّ
أحلامُنا تتشابكُ
والشمس تفتح أزرارَها: «سيأتي
زَبَدٌ يتقنّع بالبحرِ، ـ» كنّا
نتقرّى مسافاتِنا / نهضنا

ورأينا إلى الريح تمسح آثارنا، همَسْنا
نستعيد مواعيدنا،
وافترقْنا. . .

أول الموت

يصعد الموتُ في دَرَجٍ ـ كتفاهُ
بَجِعٌ وامرأهْ

ينزل الموتُ في دَرَجٍ ـ قدماهُ
شررٌ، وبقايا
مُدنٍ مُطفأهْ، ـ

والفضاءُ الذي كان أجنحةً، يتمادى
تمادى...

أول الحصاد

ظِلٌّ يشردُ في الطرقات وظلّ ينأى
في أشجارٍ تنأى، -

زرعوا حُبّاً
حصدوا موتاً

كَفَنُ الذكرى يتحوّل، صار طريقاً، -
نهضوا

حملوا عبْءَ الزمن الميْتِ، وساروا.

أول التهجية

نقدرُ، الآنَ، أن نتساءلَ كيف التقينا
نقدرُ، الآنَ، أن نَتَهجّى طريقَ الرّجوعْ
ونقولَ: الشواطىءُ مهجورةٌ،
والقلوعْ
خَبَرٌ عن حُطامٍ.

نقدر، الآنَ، أن ننحني، ونقولَ: انْتَهَيْنا.

أول السفر

أَلَمَواعيدُ تأتي وتنطفىء الشمس فيها
ألمَواعيدُ تمضي وينفتحُ الجرح فيها ـ
لم أعد أعرف الغُصنَ،
والرّيحُ لم تتذكّرْ
قَسماتي، ـ هذا غدي؟ سألَ

العاشقُ ناراً،
وحَنَّ للسَّفر الطّالع في وجهِها،
وسافرَ فيها...

أول السؤال

أُفقٌ يتورّدُ، ـ لكنّ وجهَ المطرْ
يائسٌ.

أُفقٌ يتكسّر، ـ لكنّ وجهَ المطرْ
عاشِقٌ.

مطرٌ عاشقٌ يائسٌ ـ خطانا
ورَقٌ يرتمي في حُفَرْ

كيف لا يغمر الماء هذي الحُفَرْ؟
مطرٌ عاشقٌ، ـ لو سألنا:
كيف لا يغسل الماء هذا الثّمرْ ـ
أتراهُ يجيبُ الشّجرْ؟

ربمّا، ربمّا...

وأكونُ النزيفَ، وأمضي
راسماً شرَياني سؤالاً على دفتر المطرْ...

أول الرواية

كانَ رصاصٌ يهمي
والأطفال شظايا أو راياتْ

. . . ها هيَ أجسام المحروقينَ،
المذبوحينَ،
القَتْلى من أجل الحرّيهْ

بُقعٌ شمسيّهْ
والكلماتُ، الآنَ، جميعُ الكلماتْ
صارت عَرَبيّهْ.

أول التسمية

سمّينا كلّ مكانٍ سيفاً
وأخذنا نبني -

قمراً مِن حوّارٍ،
غاباتِ رؤوسٍ،
وكواكبَ من ليل الأشلاء

وأقمْنا مملكةَ الأشياءْ.

أول الحزن

قالت أحزانُ الشّاعرِ للأمواجِ: «رأينا
رأساً يطفو...»

والبحرُ يقول: «تطوّحْ،
لا عاصمَ في سبّرْ الأغوارِ،
سوى الأغوارِ...» وقال الرأس: «مشتْ»

أحزانُ الشّاعرِ مثلَ عروسٍ
لا عرسَ لها
لا بيتَ لها...

أول التاريخ

ألّذينَ أتوا ليضيئوا، يموتونَ
والشمس تسطعُ في قُمقمٍ أو تكيّهْ
باسمِ صحرائنَا العربيّهْ/

إنّها لحظةُ الخرافَهْ
إنّها رعشةُ الوصولِ إلى آخر المسافَهْ.

أول الطريق - ٢

قرأ الأيّامَ كتاباً - فرأى

أنّ العالمَ يُصبح قنديلاً
في ليل مَرارتِه،
ورأى
أنّ الأفْق يجيء إليه صديقا،
ورأى

وجهَ النّارِ، ووجهَ الشّعر - طريقا.

أول الصدق

قافلةٌ لوّحت وغابَتْ
وانطفأت بعدَها البيوتُ:

لنعْتَرِفْ أنّنا نموتُ.

أول الحشد

أصواتٌ
تتعانقُ في السّاحات/ جمعنا
عِلْمَ الآفاقِ، دليلَ الجَمْرْ:

أليومَ، ووجهُ الأرض هِلالٌ،
أليومَ، سنقتل هذا العَصْرْ. . .

أول الحياة

في نسيج الإبادهْ

من سماءٍ بلا مَطَرٍ
كان يأتي،
في دماءٍ تتوِّجهُ كان يمشي

ويقول المدى، ويقول الولادهْ...

أول الاجتياح

لا تقولوا: جُنِنْتَ.
جنونيَ أحلامكم/أتينا
ورسَمْنا الحقولْ
جسـداً يتفتّح، كنا نقولْ
لوْ نجيءُ ونَغْتصب الكونَ.
جئنا

مَن يراكم يراني - أنا الوردةَ الأوّليهْ
في رمادِ السماء انكسرتُ، وبالفجر طيّبْتُ جَذْريَ -
أوراقيَ الزغبيّهْ
تتقاطَرُ في سُلّمٍ/
صوتُ آتٍ
أم خُطىً تتناءى؟

مَن يراكم يراني - أنا كاشفَ الظّنونْ

وأقدّم نفسي للرّعدِ: هذا شُعاعٌ
غيّروا صورةَ الطّبيعهْ
امزجوا الصّخرَ بالجناحِ، وبالغبطةِ الفَجيعهْ.

كلّ شيءٍ جديدٌ على الأرضِ/وجهي فضاءٌ
والمدى أوّلُ العيونْ

من يراكم يراني/صرخْنا:
لا طريقٌ سوى النّار، جئنا
لا مجيءٌ إذا لم يكن صاعقاً، وجئنا
لم تزَل تكبرُ السّجونْ
والمنافي ترفّ مع الهُدْبِ، والخوف يعصفُ، والخائفونْ
ورَقٌ،
تكبر السّجونْ/
يهبطونَ إلى الشّعر في جُبّةٍ، في زوايا
يَستجيرون بالحدّ، يمشون في فُسحةٍ خزَزيّهْ
وأنا الصّاعِقُ الحدودَ، أنا الرّحم الأوّليّهْ.

ويقولون: هذا غموضٌ

ويقولونَ: غَيْبٌ/

غيِّبي كلماتي
غَيِّبي خطواتي
واجمحي وخُذيني
أيّها الشّهوةُ الملكيّهْ؛ ـ

إنْ رأيتَ على مدخل الجامعهْ
نجمةً، خُذْ يديها
إن رأيتِ على مدخل الجامعهْ
كوكباً، عانقيهِ...

وكتبنا عل مدخل الجامعهْ:
ألتّواريخ تنهار، والنّار تَطْغى
خُطانا
لَهبٌ يتغَلْغَل في جُثّة الأرضِ.
نَسْتأصِلُ العائلَه
ونقيمُ الصّداقة/غَنّوا
للشّقوقِ التي تجرح الدّهر هذا
زمنٌ يتفتّتُ/غَنّوا
لهجوم الفجيعهْ

أَفْسِحوا للمقيَّد أن يُولِمَ الطّبيعهْ
لأغانيهِ. . . /

تأتينَ تيّاهةً غارقَهْ
في محيط الدّم العربيّ، تجيئينَ أشهى من الصّاعقَهْ
لا تقولوا: جُنِنْتَ.
جنونيَ أحلامكمْ/أتينا
وهبطنا الظّلامَ، كسرنا قناديله، وجئنا
مثل أرضٍ تحنّ إلى الماءِ، جئنا
مثلَ رَعْدٍ تدثّر بالغيمِ/وَعْدٌ:

ستكونونَ فجراً
سيكون الزّمان لأحلامنا شُرفاتٍ. . .

كلّ شيءٍ جديدٌ على الأرض، والأبجديّه
لَهبٌ،

والجنونْ
سَفَرٌ بينها وبيني/
أُفُقٌ

يتهجَّى الحدودَ الخفيّهْ،
واسمُنا واحِدٌ ـ

تأسّستُ في شَجَرٍ لا يموتْ
ورأيتُ الخُطى، ورأيت البيوتْ
وهي تنهارُ/هذا شراري

والمسافاتُ حُبلى
واسمُنا واحدٌ ـ ونجتاحُ: هذا مدانا

أن نَرُجَّ المداراتِ، أن لا نكونْ
غيرَ هذا الجنونِ
الجنونِ
الجنونْ.

أول الكلام

ذلك الطّفل الذي كنتُ، أتاني
مرّةً،
وجهاً غريباً.

لم يقل شيئاً. مشينا
وكِلانا يرمقُ الآخرَ في صمتٍ. خُطانا
نَهَرٌ يجري غريباً.

جمعتْنا، باسْمِ هذا الورقِ الضّارب في الرّيح، الأصولُ
وافترقْنا
غابةً تكتبها الأرضُ وترْويها الفصولُ.

أيها الطّفل الذي كنتُ، تَقَدَّمْ
ما الذي يجمعنا، الآنَ، وماذا سنقولُ؟

فهرست

قصيدة ثمود ٧

قصيدة البهلول ٣٥

قصيدة بابل ٤٧

قداس بلا قصد، خليط احتمالات ٦٩

مراكش/ فاس، والفضاء ينسج التآويل ٩٣

المطابقات

الكتابة ١٢٣

بحث ١٢٤

الشعراء ١٢٥

الاسم ١٢٦

التجربة ١٢٧

الأطفال ١٢٨

الشاعر ١٢٩

التائه ١٣٠
الجنون ١٣١
الحوار ١٣٢
أدونيس ١٣٣
حي الميدان ١٣٤
قيس ١٣٥
جلقامش ١٣٦
النفّري ١٣٧
حي الشاغور ١٣٨
الثورة ١٣٩
الأطفال ـ ٢ .... ١٤١
قاسيون ١٤٢
أبو تمام ١٤٣
بودلير ١٤٤
رينيه ماريا ريلكه ١٤٥
أبو نواس ١٤٦
الهامش ١٤٧

الأوائل

أول الشيء ١٥١

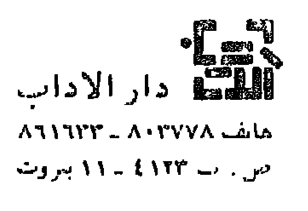
أول الظن ١٥٢
أول الجسد ١٥٣
أول الشعر ١٥٤
أول الكتاب ١٥٥
أول الحروف ١٥٦
أول الكيمياء ١٥٧
أول العهد ١٥٨
أول الحنين ١٥٩
أول الشعر ـ ٢ .... ١٦٠
أول اللغة ١٦١
أول الصداقة ١٦٢
أول الفروقات ١٦٣
أول العشق ١٦٤
أول الجنون ١٦٥
أول الطريق ١٦٦
أول الجنس ١٦٧
أول الاسم ١٦٨
أول اللقاء ١٦٩
أول الفضاء ١٧٠
أول الجنس ـ ٢ .... ١٧١

أول الريح ١٧٢
أول الموت ١٧٣
أول الحصاد ١٧٤
أول التهجية ١٧٥
أول السفر ١٧٦
أول السؤال ١٧٧
أول الرواية ١٧٩
أول التسمية ١٨٠
أول الحزن ١٨١
أول التاريخ ١٨٢
أول الطريق ـ٢ .... ١٨٣
أول الصدق ١٨٤
أول الحشد ١٨٥
أول الحياة ١٨٦
أول الاجتياح ١٨٧
أول الكلام ١٩٢

من منشورات دار الآداب

مجموعات الشاعر

- قصائد أولى، الطبعة الأولى ١٩٥٧.
- أوراق في الريح، الطبعة الأولى ١٩٥٨.
- أغاني مهيار الدمشقي، الطبعة الأولى ١٩٦١.
- كتاب التحولات والهجرة في أقاليم النهار والليل، الطبعة الأولى، ١٩٦٥.
- المسرح والمرايا، الطبعة الأولى، ١٩٦٨.
- هذا هو اسمي (وقت بين الرماد والورد)، الطبعة الأولى ١٩٧١.
- مفرد بصيغة الجمع، الطبعة الأولى ١٩٧٥.
- المطابقات والأوائل، الطبعة الأولى ١٩٨٠.
- كتاب الحصار، الطبعة الأولى ١٩٨٥.
- احتفاء بالأشياء الغامضة الواضحة، الطبعة الأولى ١٩٨٨.



دار الاداب
هاتف ٨٠٣٧٧٨ - ٨٦١٦٣٣
ص. ب ٤١٢٣ - ١١ بيروت